

آداب العلم وأهله

تهدیب

جامع بیان العلم وفضله

للحاافظ شیخ الإسلام أبي عمرو يوسف بن عبد البر الأندلسي

(٣٦٨-٤٦٢ هـ)

اعتنی به

عبدالله الخطيب (النروي)

جمع الأسلوب المحسن في فوائد التهذير
لأهلي العلوم الإسلامية

(حقوق الطبع محفوظة)

الطبعة الأولى

ربيع الثاني ١٤٣٠ هـ



ملزوم الطبع والنشر

مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد
لإحياء المعارف الإسلامية
دار الشیخ علم الله، راتی بھٹلی (الہند)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَيْنَ يَدِيِ الْكِتَابِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وأصحابه الغرماء الميمانيين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد!

فإنَّه ممَّا تقرَّر عند المشتغلين بالعلوم الدينيَّة أنَّ لها خلائقاً أو آداباً ظاهرة وباطنة لا بد لطلابها التحلي بآدابها والتخلُّق بخُلقها، ولا يمكن لأحد أن يفوز بمرامه بغير أن يسلك مسالكها، وقد صنف العلماء بجمع هذه الآداب والمكرمات قديماً وحديثاً؛ ومن أهم المصنفات في هذا الموضوع كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبع عن روايته وحمله، للإمام العلامة أبي عمر ابن عبد البر القرطبي رحمه الله، في مجلدين ضخمين، يحتويان على بيان معنى العلم وفضل طلبه وحمد السعي فيه والعناية به، وبيان أحكامه وآدابه، وما يلزم العالم والمتعلم التخلُّق به والمواظبة عليه، وبيان وجه الطلب ومادحة فيه من الاجتهاد والنَّصب وغيره من آداب التعلم والتعليم وفضل ذلك، وكل ذلك روى الإمام عن سلف هذه الأمة من الأحاديث والأثار، بأسانيد، مع بيان اختلاف الرواية والروالة، فهذا جامع نفيسٌ غزيرٌ في موضوعه، مفيدٌ للطلاب والباحثين والعلماء سواء.

وجامع هذا الكتاب هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي

المالكي، صاحب التصانيف الفائقة (٣٦٨-٤٦٣ هـ) (١). أخذ عن كبار أئمة عصره وبرز في الحديث والفقه والتاريخ والأنساب، وطال عمره، وعلّاسنده، وتكثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضيق، وسارت بتصانيفه الركبان وخلع علمه علماء الزمان. قال الذهبي: كان إماماً دينياً ثقة متقدعاً علامة بحراً صاحب سنة واتباع. وقال الباقي: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر ابن عبد البر في الحديث وهو أحافظ أهل المغرب.

كان موقفاً في التأليف، معاذ علىه، ونفع الله بتأليفة، اعتنى بموطئ مالك، فصنف "التمهيد لمعافي الموطئ من المعاني والأسانيد"، وهو كتاب لم يسبق أحد إلى مثله، ثم صنف كتاب "الاستذكار لمذهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطئ من المعاني والآثار"، وله كتاب "الكافي في مذهب مالك"، طبع في جزءين، محقق بالرياض، وله كتاب "الانتقاء لمذاهب الثلاثة الفقهاء، أبي حنيفة ومالك والشافعي".

وكتابه "جامع بيان العلم" كتاب مفيد للأساتذة والطلاب سواء، ولكن كثرة أسانيده وتنوعها مع إفادتها للباحثين كانت متعباً للطلاب والدارسين المبتدئين، فكانت الحاجة ملحة إلى تجريدته عن الأسانيد، وحذف المكررات، والقصائد الطويلة، مع مراجعة النصوص والآثار الواردة في الكتاب، وتهذيبه من جديد، ليكون سهلاً نافعاً، ويتيسر فهمه، والاستفادة منه للطلاب والمبتدئين.

فتتصدى له الأخ الأستاذ عبدالله بن عبد الرحمن الخطيب الندوبي، وإنه قبل ذلك قام بتحقيق ومراجعة كتاب "شرح نزهة النظر" للعلامة وجيه الدين الݣجراتي، فإنه طبع ونال قبولاً في الأوساط العلمية، فالأخ العزيز قام بهذا الكتاب، فلخصه وهذه ورائع نصوصه وخرج

أحاديث، ثم كتبه على الحاسوب الآلي. فجزاه الله عن المستفيدين منه
والقائمين بنشره، ونفع بهذه الكتاب.

وكتبه

بلال عبد العزيز الحسني التلوي
مركز الإمام أبي الحسن الندوبي
دارة الشيخ علم الله، رايم بريلي (الهند)

٢٥ / محرم الحرام ١٤٣١

مقدمة المصنف

الحمد لله المبتدئ بالنعيم، بارع النسم، ونشر الرميم، ورزاق الأمم،
الذى علمنا مالم نكن نعلم، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين،
وعلى آلـه الطيبين، والحمد لله رب العالمين.

﴿أَمَا بَعْدَ﴾ فـإـنـك سـأـلـتـنـي رـحـمـكـ اللـهـ عـنـ معـنـىـ الـعـلـمـ وـفـضـلـ طـلـبـهـ،
وـحـمـدـ السـعـىـ فـيـهـ وـالـعـنـيـةـ بـهـ، وـعـنـ تـثـبـيـتـ الـحـجـاجـ بـالـعـلـمـ، وـتـبـيـبـنـ فـسـادـ
الـقـوـلـ فـىـ دـيـنـ اللـهـ بـغـيـرـ فـهـ، وـتـحـرـيـمـ الـحـكـمـ بـغـيـرـ حـجـةـ، وـماـ الـذـىـ أـجـيـزـ مـنـ
الـاـحـتـاجـ وـالـجـدـلـ، وـماـ الـذـىـ كـرـهـ مـنـهـ، وـماـ الـذـىـ ذـمـ مـنـ الرـأـىـ وـمـاـ حـمـدـ مـنـهـ،
وـمـاـ يـجـوزـ مـنـ التـقـلـيدـ وـمـاـ حـرـمـ مـنـهـ، وـرـغـبـتـ أـنـ أـقـدـمـ لـكـ قـبـلـ هـذـاـ مـنـ اـدـابـ
الـتـعـلـمـ، وـمـاـ يـلـزـمـ الـعـالـمـ وـمـاـ تـلـمـعـ الـتـخـلـقـ بـهـ وـالـمـواـظـبـةـ عـلـيـهـ، وـكـيـفـ وـجـهـ
الـطـلـبـ، وـمـاـ حـمـدـ وـمـدـحـ فـيـهـ مـنـ الـاجـهـادـ وـالـنـصـبـ، إـلـىـ سـائـرـ أـنـوـاعـ اـدـابـ
الـتـعـلـمـ وـالـتـعـلـيمـ، وـفـضـلـ ذـلـكـ وـتـلـخـيـصـهـ بـاـبـاـ بـاـبـاـ، مـاـ رـوـىـ عـنـ سـلـفـ هـذـهـ
الـأـمـةـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ أـجـمـعـيـنـ، لـتـبـيـعـ هـدـيـهـ، وـتـسـلـكـ سـبـيـلـهـ، وـتـعـرـفـ مـاـ
اعـتـمـدـواـ عـلـيـهـ مـنـ ذـلـكـ مـجـتـمـعـيـنـ أوـ مـخـتـلـفـيـنـ فـيـ الـعـنـىـ مـنـهـ. فـأـجـبـتـكـ إـلـىـ مـاـ
رـغـبـتـ، وـسـارـعـتـ فـيـمـاـ طـلـبـتـ، رـجـاءـ عـظـيمـ الثـوـابـ، وـطـمـعـاـ فـيـ الـزـلـفـ يـوـمـ
الـمـأـبـ، وـلـمـ أـخـذـ اللـهـ بـعـدـ عـلـىـ الـمـسـئـولـ الـعـالـمـ بـمـاـ سـئـلـ عـنـهـ مـنـ بـيـانـ مـاـ طـلـبـ
مـنـهـ وـتـرـكـ الـكـتـمـانـ لـمـاـ عـلـمـهـ، قـالـ اللـهـ عـلـىـهـ: وـإـذـ أـخـذـ اللـهـ بـعـدـ عـلـىـهـ مـنـهـ أـوـتـوـ
الـكـيـتـبـ لـتـبـيـنـنـةـ لـلـنـاسـ وـلـاـ تـكـتـمـونـةـ. [الـعـرـانـ: ١٨٧]

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: من سُئل عن علمٍ علمه، فكتمه
جاء يوم القيمة عليه لجام من نار.^(١)

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٨) والترمذى (٢٦٤٩) وقال: حديث حسن. وصححه الحاكم / ١٨٢ على شرط الشیخین، ووافقه الذهبی.

قال الحسن: دخلنا فاغتنمنا، وخرجنا فلم نزدد إلا غما، اللهم إليك نشكوا هذا الغنة الذي كنا نحدث عنه، إن أجبناهم لم يفهُو، وإن سكتنا عنهم وكلناهم إلى عى شديد، والله لو لا ما أخذ الله على العلماء في علمهم ماأن bianهم بشئ أبدا.

وكان أبو هريرة يقول: لو لا ايتان في كتاب الله ما حدثكم شيئاً،
إن الله يقول: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدُىٰ . [البقرة: ١٥٩] هذه الآية والتي تليها.^(١)

وقال يزيد بن هرمز: كتب بجدة إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال، فقال ابن عباس: إن الناس يقولون: إن ابن عباس يكاتب الحرورية، ولو لا أني أخاف أن أكتم علما ما كتبت إليه.
وقالت الحكماء: من كتم علما فكانه جاهله.

وقد جمع أقوام في نحو ما سئلنا عنه وذكرناه في كتابنا هذا أبواباً لورأيتها كافية دللت عليها، ولكنني رأيت كل واحد منهم جمع ما حضره وحفظه وما حشى التقللت عليه، وأحب أن ينظر المسترشد إليه، ولو أغفل العالفاء جمع الأخبار وتبيين الأثار، وتركوا حجة كل نوع إلى بابه، وكل شكل من العلم إلى شكله، لبطلت الحكمة، وضاع العلم ودرس، وإن كان لعمري قد درس منه الكثير لعدم العناية وقلة الرعاية والاشتغال بالدنيا والكلب عليها، ولكن الله يبقى لهذا الدين قوما وإن قلوا، يحفظون على الأمة أصوله، ويميزون فروعه، فضلاً من الله ونعمته، ولا يزال الناس بخير ما يبقى الأول حتى يتعلم منه الآخر، فإن ذهب العلم بذهاب العلماء، كما قال رسول الله ﷺ . وسترى هذا المعنى وشبهه في كتابنا هذا إن شاء الله بحوله وقوته، فالحول والقوة لله، وهو حسيبي ونعم الوكيل.

(١) أخرجه البخاري (١١٨) ومسلم (٦٣٩٧).

باب

طلب العلم فريضة على كل مسلم

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: طلب العلم فريضة على كل مسلم.^(١)

قال إسحاق بن راهويه: طلب العلم واجب ولم يصح فيه الخبر، إلا أن معناه أنه يلزم طلب علم ما يحتاج إليه من وظائفه وصلاته وزكاته إن كان له مال، وكذلك الحج وغيره، قال: وما وجب عليه من ذلك لم يستأذن ذن أبويه في الخروج إليه، وما كان فضيلة لم يخرج إليه حتى يستأذن أبويه. قال المصنف رحمة الله: يريد إسحاق - والله أعلم - أن الحديث في وجوب طلب العلم في أسانيده مقال لأهل العلم بالنقل، ولكن معناه صحيح عندهم. قال ابن وهب: سئل مالك عن طلب العلم أ هو فريضة على الناس؟ فقال: لا، ولكن يطلب من المرأة ما ينتفع به في دينه.

وقال الحسن بن الربيع: سألت ابن المبارك عن قول النبي ﷺ: طلب العلم فريضة على كل مسلم "قال: ليس هو الذي يطلبوه، ولكن فريضة على من وقع في شيء من أمر دينه أن يسأل عنه حتى يعلمه.

وقال محمد بن معاوية الحضرمي: سئل مالك بن أنس وأنا أسمع عن الحديث الذي يذكر فيه طلب العلم فريضة على كل مسلم "قال: ما أحسن طلب العلم، فأما فريضة فلا.

قال ابن الماجشون: سمعت مالكا وسئل عن طلب العلم أ واجب؟ فقال: أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجب، وغير ذلك منه من ضعف عنه فلا شيء عليه.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤) وغيره، وحسنه العرافي والحافظ ابن حجر، قال المزى والزرकشى: روى من طريق تبلغ رتبة الحسن.

وقال سفيان بن عيينة: طلب العلم والجهاد فريضة على جماعتهم ويجزئ فيه بعضهم عن بعض، وتلاهذه الآية: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِتَتَفَقَّهُوا فِي الْتَّيْنِ وَلَيَنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ [التوبه: ١٢٢]

وسائل الحافظ أحمد بن صالح عما جاء في طلب العلم فريضة على كل مسلم فقال أحمد: معناه عندي إذا قام به قوم سقط عن الباقيين مثل الجهاد. قال المصنف رحمة الله: قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصته بنفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضوع، واختلفوا في تلخيص ذلك، والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك مالا يسع إلاHuman جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه.

ثم سائر العلم وطلبه والتفقه فيه وتعليم الناس إياه وفتواه به في مصالح دينهم ودنياهم فهو فرض على الكفاية، يلزم الجميع فرضه، فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقيين، لا خلاف بين العلماء في ذلك. وحجتهم فيه قول الله تعالى: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِتَتَفَقَّهُوا فِي الْتَّيْنِ وَلَيَنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ [التوبه: ١٢٢]

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله، يتعلمون القرآن ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، وغضبتهم الرحمة، وتنزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده. وما من رجل يسلك طريقاً يلتسم فيه علماء إلا سهل الله له طريقاً إلى الجنة. ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبة.^(١)

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكانت منها بقعة قبلت

(١) أخرجه مسلم (٦٨٥٣).

الملء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكت الماء، فنفع الله به الناس، فشربوا وأسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعمل وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.^(١)

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به بعده، أو ولد صالح يدعوه.^(٢)

عن أبي قتادة عن رسول الله ﷺ قال: ثلاط تتبع المسلم بعد موته: صدقة أخضها يجري له أجرها، ولد صالح يدعوه ، وعلم أفشاء فعل به من بعده.^(٣)

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ثلاط تناول المؤمن بعد وفاته: الولد الصالح يدعوه من بعد وفاته فيناله أجر دعائه، والرجل يترك الصدقة في الموضوع الصالح فتنفذ لوجهها، والرجل يعلم العلم الصالح . فينتهي به عن المعاصي.^(٤)

وقالت الحكمة : علم الرجل ولده المخلد.

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إحملني فإنه قد أبدع بي، قال: ما أجد ما أحملكم عليه، فأتى فلاناً، فأتاه فحمله، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: الدال على الخير له مثل أجر فاعله.^(٥)

(١) أخرجه البخاري (٧٩) ومسلم (٥٩٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤٢٢٣).

(٣) أخرج نحوه ابن ماجه (٢١٤) وصححه المنذري في الترغيب ٥٥.

(٤) أخرج معناه مسلم وغيره كما مر.

(٥) أخرجه مسلم (٤٨٩٩).

وعن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال : الدال على الخير

كفاعله.^(١)

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : لا حسد إلا في اثنين، رجل أتاه الله ما لا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها.^(٢)

وعن الحسن في قوله تعالى "وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ" [آل عمران: ٤٨] قال: الكتاب القرآن، والحكمة السنة.

قال ابن وهب: قال لي مالك وذكر قول الله ﷺ في يحيى "وَاتَّيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا" [سريم: ١٢] وقوله في عيسى "قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ" [الزمر: ٦٣] وقوله "وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ" [آل عمران: ٤٨] وقوله "وَإِذْكُرْنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنْ" من آيات الله وآيات الحكمة [الأحزاب: ٣٤] قال مالك: الحكمة في هذا كله طاعة الله والاتباع لها، والفقه في دين الله العمل به.

وقال ابن وهب: وسمعت مالكا مرة أخرى يقول: الذي يقع في قلبي أن الحكمة هي الفقه في دين الله. قل: وما يبين ذلك أن الرجل تجد له عاقلا في أمر الدنيا إذا نظر فيها وبصر بها، ولا علم له بدينه، وتجد آخر ضعيفا في أمر الدنيا، عالما بأمر دينه بصيرا به، يؤتى به الله إيمانه ويحرمه هذا، فالحكمة الفقه في دين الله.

قال ابن وهب: وسمعته يقول: الحكمة والعلم نور يهدى به الله من يشاء، وليس بكثرة المسائل.

قال الشاعر:

العلم ينهر بالخسيس إلى العلي والجهل يقع بالفتى المنسوب
وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : الناس معادن، خيارهم في

(١) أخرجه الترمذى (٢٦٧٠) وغيره.

(٢) أخرجه البخارى (٧٣) ومسلم (١٨٩٦).

الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.^(١)

وعن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس نبي الله بن نبي الله ابن نبي الله بن خليل الله، يعني يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ إن خياركم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.^(٢)
 وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.^(٣)

وعن معاوية قال: سمعت النبي ﷺ يقول : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. وإنما أنا قاسم والله يعطى ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على الحق أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.^(٤)
 وقال ﷺ: إذا أراد الله بعده خيراً جعل فيه ثلاثة خلال: فقهه في الدين، وزهده في الدنيا، وبصره عيوبه.^(٥)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: قليل العلم خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه، إنما الناس رجلان، عالم وجاهل، فلا تمار العالم ولا تحاور الجاهل.^(٦)

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: فضل العالم على

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٥٠٠٨) / ٣٦٧، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٣) ومسلم (٦١٦١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٧١٩٣) وابن ماجه (٢٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (٧٣١٢).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة / ١٩٢ وابن البيهقي في الشعب / ٣٤٢ من حديث محمد بن كعب القرطبي مرسلاً.

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط / ٣٠١ (٨٦٩٨) وأبو نعيم في الحلية / ٥-١٧٤-١٧٥ وقال: غريب.

العبد كفضل على أمتي.^(١)

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: من أدى الفريضة وعلم الناس الخير كان فضله على المجاهد العبد كفضل على أدناكم رجالاً، ومن بلغه عن الله فضل فأخذ بذلك الفضل الذي بلغه أعطاء الله ما بلغه وإن كان الذي حدثه كاذباً.^(٢)

قال المصنف: أهل العلم بجماعتهم يتสาهلون في الفضائل، فيرونها عن كل، وإنما يتشددون في أحاديث الأحكام.

وقال ابن مسعود: الدراسة صلاة.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "فضل العالم على المؤمن الع عبد سبعون درجة".^(٣)

وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: يبعث الله العالم والعبد فيقال للعبد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اشفع للناس كما أحسنت أدبهم.^(٤)

قال شبل: يعني تعليمهم.

وروى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: نعمت العطية ونعمت الهدية كلمة حكمة تسمعها، فتنطوي عليها، ثم تحملها إلى أخي لك مسلم تعلمه إياها، تعدل عبادة سنة.^(٥)

(١) آخرجه الحارث بن أبيأسامة (زواد الهيشمی ١٨٤/١) وأبوالقاسم البغوي في جزئه ٥٠ بسنده ضعيف، قال المنواري في الفيض ٤٣١/٤: أورده ابن الحوزي في الواهيات، وقال: لا يصح. أهـ قلت: يشهد له ما آخرجه الترمذى (٢٦٨٥) وصححه من حديث أبي أمامة مرفوعاً: فضل العالم على العبد كفضل على أدناكم.

(٢) ذكره الشوكاني في الفوائد المحمودة ٢٨٣/٢٨٣. قال محمد بن طاهر الفتني في تذكرة الموضوعات ١/٨٤: ضعيف إسناده لكنهم يتزاهلون في الفضائل.

(٣) آخرجه ابن عساكر (كشف الغفاء ٢/٨٢١). وأخرجه ابن عدى في الكامل ٤/١٣٤ من حديث أبي هريرة.

(٤) آخرجه البهقى في الشعب ٢/٢٦٨ وابن عدى في الكامل ٢/٤١٢-٤١٣.

(٥) آخرجه ابن المبارك في الزهد ١/٤٨٧ والطبرانى في الكبير (١٤٢١) ٤٣/١٢٤٢١. بإسناد ضعيف. قال المنذرى في الترغيب ١/٦٨: يشبه أن يكون موقعاً.

قال قتادة: باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من
بعده أفضل من عبادة حول.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: العلم خير من العبادة،
وملاك الدين الورع.^(١)

عن حزام بن حكيم عن عمّه عن رسول الله ﷺ قال: إنكم أصبحتم
في زمان كثيرون فقهاؤه، قليل خطباؤه، قليل سائلوه، كثير معطوه، العمل فيه
خير من العلم، وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير خطباؤه، قليل
معطوه، كثير سائلوه، العلم فيه خير من العمل.^(٢)

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: حظ من علم أحب إلى من
حظ من عبادة، ولأن أعايفي فأشكُر أحب إلى من أن أبتلى فأصبر، ونظرت
في الخير الذي لا شر فيه، فلم أر مثل المعافة والشكرا.

وقال ابن عباس: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلى من إحياءها.

قال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل: قوله "تذاكر العلم
ليلة أحب إلى من إحياءها" أى علم أراد؟ قال: هو العلم الذي ينتفع به
الناس في أمر دينهم، قلت: في الوضوء والصلوة والصوم والحج والطلاق
ونحو هذا؟ قال: نعم، قال إسحاق بن راهويه: هو كما قال أحمد.

وقال أبو هريرة: لأن أجلس ساعة فأفقه في ديني أحب إلى من أن
أحيي ليلة إلى الصباح.

وقال الزهرى: ما عبد الله بمثل الفقه.

قال المزداد بن جميل: سمعت رجلاً يسأل المعافى بن عمران فقال:

(١) أخرجه ابن السجزي في العلل المستاهبة / ٧٧ وقال: لا يصح، وأخرجها الحاكم (٣١٤) من حديث
سعد بن وقاص، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه النهبي.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣١١١) وفي مسند الشاميين (١٢٢٥) بإسناد ضعيف.

يا أبا عمران! أيماء أحب إليك أقوم أصلى الليل كله أو أكتب الحديث؟ فقال: حديث تكتبه أحب إلى من قيامك من أول الليل إلى آخره.

وقال الحسن: العالم خير من الزاهد في الدنيا، المجتهد في العبادة.

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: لأن تغدو فتعلم بابا من العلم

خير لك من أن تصلى مائة ركعة.^(١)

وعن أبي هريرة وأبي ذر قالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: إذا جاء

الموت طالب العلم وهو على تلك الحال مات شهيداً.^(٢)

قال ابن وهب: كنت عند مالك بنأنس، فجلست صلاة الظهر

أو العصر وأنا أقرأ عليه وأنظر في العلم بين يديه، فجمعت كتبى وقمت

لأركع، فقال لي مالك: ما هذا؟ قلت: أقوم إلى الصلاة، فقال: إن هذا العجب!

ما الذي قمت إليه بأفضل من الذي كنت فيه إذا صحت النية فيه.

وقال الشافعى: طلب العلم أفضل من الصلة النافلة.

وقال سفيان الثورى: ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية.

وقال أيضاً: لا أعلم من العبادة شيئاً أفضل من أن يعلم الناس العلم.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: فقيه

واحد أشد على الشيطان من ألف عابد.^(٣)

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لكل شئ عمار، وعماد هذا الدين

الفقه، وما عبد الله بشئ أفضل من فقهه في الدين، ولفقيقه واحد أشد على

الشيطان من ألف عابد.^(٤)

قال عمر بن الخطاب ﷺ: لموت ألف عابد قائم الليل صائم النهار

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٩) بإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه العطيب في تاريخ بغداد ٢٤٧، وعزاه السيوطي في الحجامع الصغير (٥٤) إلى البزار.

(٣) أخرجه الترمذى (٢٦٨١) وابن ماجه (٢١٢)

(٤) أخرجه الدارقطنى في السنن ٩٧ والطبراني في الأوسط (٦١٦٦) بسنده ضعيف.

أهون من موت العاقل البصير بحلال الله وحرامه.

وروى عن ابن عباس أنه قال: إن الشياطين قالوا لإبليس: يا سيدينا! مالنا راك تفرح بموت العالم مala تفرح بموت العابد؟ فقال: انطلقو، فانطلقو إلی عابد قائم يصلی، فقالوا له: إننا نريد أن نسألك، فانصرف، فقال له إبليس: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ فقال: لا، فقال: أترونـه كفر في ساعة، ثم جاء إلى عالم في حلقة يضاحـك أصحابـه ويحدثـهم فقال: إنـنا نـريد أن نـسألـك، فقال: سـلـ، فقال: هل يـقدر ربـك أن يجعلـ الدنيا فيـ جـوفـ بيـضـةـ؟ قالـ: نـعـمـ، قالـ: وـكـيـفـ؟ قالـ: يـقـولـ لـذـكـ إـذـا أـرـادـهـ كـنـ فـيـكـوـنـ. قالـ إـبـلـيـسـ: أـتـرـوـنـ ذـاـكـ لـاـ يـعـدـوـ نـفـسـهـ، وـهـذـاـ يـفـسـدـ عـلـىـ عـالـمـاـكـثـيرـاـ.

قال أبو جعفر بن محمد بن علي بن حسين: عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد. وقال: رواية الحديث وبثـهـ فـيـ النـاسـ أـفـضـلـ من عـبـادـةـ أـلـفـ عـابـدـ.

وقال عمر بن عبد العزيز: من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح..

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما ألاه أو عالم أو متعلم.^(١)

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبل أن يرفع، ثم جمع بين إصبعيه الوسطي والثـالـيـ تـلـيـ إـلـىـ بـهـامـ، ثم قال: إنـ العالمـ والمـتـلـعـ شـرـيكـانـ فـيـ الأـجـرـ، وـلـاـ خـيـرـ فـيـ سـائـرـ النـاسـ بـعـدـ.^(٢)

قال عبد الله بن مسعود: أبغـدـ عـالـمـاـ أوـ مـتـلـعـاـ، وـلـاـ تـقـدـ بـيـنـ ذـلـكـ.

(١) أخرجه الترمذى (٢٣٢٢) وابن ماجه (٢١٢) وقال الترمذى: حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٢٨) بـسـنـ ضـعـيفـ.

وقال أبو الدرداء: كن عالماً أو متعلماً أو محباً أو متابعاً، ولا تكن الخامس فتهلك.

وقال عون بن عبد الله: إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلماً، وإن لم تستطع فأحبيهم، وإن لم تستطع فلا تبغضهم. وكان ابن مسعود يقول: أخذ عالماً أو متعلماً، ولا تغدر فيما بين ذلك، فإنما بين ذلك جاهل أو جهل، وإن الملائكة تبسط أجنحتها لرجل غدا يطلب العلم من الرضى لما يصنع.

قال أبو سفيان الحميري: ليس الأدب إلا في صنفين من الناس: رجل تأدب بالسلطان، ورجل تأدب بالفقه، وسائل الناس همج. وروى عن علي قال: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، والباقي همج رعاع أتباع كل ناعق. وقال يموم بن المزرع: أنشدنا عمرو بن بحر الحافظ الصالح بن جناح في العلم:

فما العلم إلا عند أهل التعلم	تعلم إذا ملكت ليس بعالم
ولن تستطيع العلم إن لم تعلم	تعلم فإن العلم زين لأهله
من الحلة الحسنة عند التكلم	تعلم فإن العلم أزيز بالفتوى
بصير بما يأتي ولا متعلم	ولا خير فيمن راح ليس بعالم

وعن أبي بكرة عن النبي قال: أخذ عالماً أو متعلماً أو مستعملاً أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك.^(١)

قال المصنف رحمه الله: الخامسة التي فيها الهلاك معاداة العلماء وبغضهم، ومن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب ذلك، وفيه الهلاك، والله أعلم.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥١٧١) والصغرى (٧٨٦) واليهى في الشعب ٢/٢٦٥. قال الهيثمي ١/٣٢٨: رجاله موثقون.

عن عثمان بن عفان قال: رسول الله ﷺ: يشفع يوم القيمة ثلاثة:
الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء.^(١)

وقال أبو بكر بن دريد:

أو ودهم فـى الله ذى الـاء
غر الـوجوه وزين كل ملـاء
وتـوقـر وـسـكـيـنـة وـحـيـاء
وفـضـائـل جـلت عنـ الإـحـصـاء
أـزـكـى وأـفـضـل منـ دـمـ الشـهـادـاء
ـمـأـنـتـم وـسـوـاـكـم بـسـوـاء

أـهـلا وـسـهـلا بـالـذـين أـحـبـهم
أـهـلا بـقـوم صـالـحـين ذـوـى تـقـىـة
يـسـعـون فـى طـلـبـ الـحـدـيـث بـعـفـة
لـهـمـ الـمـهـابـة وـالـجـلـالـة وـالـنـهـىـة
وـمـدـادـ ماـ تـجـرـى بـهـ أـقـلـامـهـم
ـيـاـ طـالـبـىـ عـلـمـ النـبـىـ مـحـمـدـ

وروى من حديث أبي هريرة وأبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال: إذا جاء
الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيداً.^(٢)

قال الأزدي: سألت ابن عباس عن الجهاد، فقال: لا أذلك على
خير من الجهاد؟ فقلت: بل، قال تبني مسجداً، وتعلم فيه الفرائض والسنّة
والفقه في دين.

وقال أبو الدرداء: من رأى الغدو والروح إلى العلم ليس بجهاد فقد
نقص عقله ورأيه.

وقال: مامن أحد يغدو إلى المسجد لخير يتعلمه أو يعلمه إلا كتب له
أجر مجاهد، لا ينقلب إلا غانماً.

عن زر بن جيش قال: أتيت صفوان بن عسال فقال: ما جله بك؟
قلت: طلب العلم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الملائكة تضع

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٣) بإسناد ضعيف.

(٢) مر تعریفه آنفاً.

أجنبتها لطالب العلم رضاً بما يطلب.^(١)

قال المصنف : حديث صفوان بن عسال هذا حديث صحيح.

وعن كثير بن قيس قال : كنت جالساً مع أبي الدرداء ، فأتى رجل ، فقال : يا أبي الدرداء ! جئتك من المدينة من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغنى أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ ، قال : وما جئت لحاجة ؟ قال : لا ، قال : ولا لتجارة ؟ قال : ولا جئت إلا لهذا ؟ قال : نعم ، قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنبتها لطالب العلم ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض وكل شئ حتى الحيتان في جوف الماء ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر.^(٢)

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : من غدا العلم يتعلم سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وفرشت له الملائكة أجنبتها ، وصلت عليه حيتان البحر وملائكة السماء ، وللعالم على العابد من الفضل كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، والعلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، فمن أخذ به أخذ بالحظ الوافر ، وموت العالم مصيبة لا تجبر ، وثلمة لا تسد ، ونجم طمس ، وموت قبيلة أيسر من موت عالم.^(٣)

وقال ابن عباس : معلم الخير يستغفر له - أو يستشعف له - كل شئ

حتى الحيتان في البحر.

(١) أخرجه النسائي (١٥٨) وابن ماجه (٢٢٦) وصححه الحاكم / ١٨٠ .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذى (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) .

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (١٦٩٩) بإسناد ضعيف.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: علماء هذه الأمة رجال، فرجل أعطاه الله علما، فبذله للناس، ولم يأخذ عليه صبرا، ولم يشتري به ثمنا، أولئك يصلى عليهم طير السماء وحيتان البحر ودواب الأرض والكرام الكاتبون، ورجل أتاه الله علما، فضربه عن عباده، وأخذ به صبرا، واشتري به ثمنا، فذلك يأتي يوم القيمة ملجمًا بلجام من نار.^(١)

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير.^(٢)

قال المصنف رحمة الله : الصلاة هنا الدعاء والاستغفار، وهو بمعنى قوله "الملائكة تضع أجنحتها" أى تدعوا. والله أعلم.

وعن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ قال: نصر الله امرأ سمع منا حديثه، فحفظه وببلغه غيره، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغل عليهم قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائهم. وقال: قال رسول ﷺ: من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأنته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيتها الدنيا فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له.^(٣)

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: نصر الله عبداً سمع مقالتي، فوعاها وحفظها وببلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهم قلب مسلم: إخلاص العمل لله،

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧١٨٧) بإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذى (٢٦٨٥) وقال: حديث حسن غريب صحيح.

(٣) أخرجه الدارمى (٢٣٣). ورواه أبو داود (٣٦٦٠) والترمذى (٢٦٥٦) وابن ماجه (٢٣٠) مختصراً.

ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم الجماعة فإن الدعوة تحيط من ورائهم.^(١)
وعن أبي بكرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ بمعنى فقال: ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فإنه لعله أن يبلغه من هو أوعى له منه، أو من هو أحفظ له.^(٢)

وعن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ بالخيف من منى يقول: نضر الله عبداً سمع مقالتي، فوعاها، ثم أداها إلى من هو أفقه منه، ثلاثة لا يغلو عليهم صدر مؤمن: إخلاص العمل لله، ومناصحة أولى الأمر، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائهم.^(٣)
وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها غيره، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاثة لا يغلو عليهم صدر مؤمن: إخلاص العمل لله، ومناصحة أولى الأمر، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم.^(٤)

وعن عبد الله بن عمر وبين العاص قال: قال رسول الله ﷺ: رب حامل فقه غير فقيه، ومن لم ينفعه فقهه ضره جهله.^(٥)

وعن محمد بن المنكدر وغيره أن رسول الله ﷺ قال: ما أفاد المسلم أخيه فائدة أحسن من حديث حسن بلغه، فبلغه.^(٦)

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: تسمعون ويسمع منكم،

(١) أخرجه الترمذى (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه البخارى (٦٧) ومسلم (٤٣٨٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٠٥٦) والدارمى /٨٠.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٣٣٧٤).

(٥) أخرجه الطبرانى فى مستند الشاميين (١٣٤٥) /٢٨٢.

(٦) ذكره الغزالى فى الاحياء /١٤، وعزاه العراقي فى تخریجه إلى ابن عبدالبر وحده.

ويسمع من يسمع منكم.^(١)

وفي هذا الحديث أيضاً دليل على تبليغ العلم ونشره.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيمة.^(٢)

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مسلم يحفظ على أمتي أربعين حديثاً يعلمهم بها أمر دينهم إلا جيء به يوم القيمة، فقيل له: أشفع لمن شئت.

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: من تعلم أربعين حديثاً من أمريدينه بعثه الله في زمرة الفقهاء والعلماء.

عن أبي هريرة وأبي ذر قالا: باب من العلم يتعلم أحب إلينا من ألف ركعة تطوع. وقالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: إذا جاء الموت طالب العلم وهو على تلك الحال مات وهو شهيد.^(٣)

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: فضل العلم خير من فضل العمل، وخير دينكم الورع.

وعن واشلة بن الأسعق أن رسول الله ﷺ: قال من طلب علماً فأدركه كتب الله عز وجل له كفلين من الأجر، ومن طلب علمًا فلم يدركه كان له كفلاً من الأجر.^(٤)

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٩) وصححه الحاكم /١٧٤ على شرط الشيخين، ووافقه النسفي.

(٢) هذا الحديث رواه المصنف من حديث ابن عمر وأنس وأبي هريرة وابن عباس ومعاذ، وأخرجه ابن الحوزى في العلل /١١٩-١٢٩ من رواية ثلاثة عشر صحيحاً. قال الترمذى في خطبة أربعين: اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف، وقال ابن عساكر: روى بأسانيد فيها كلها مقال، ليس للتصحيح فيها مجال، لكن كثرة طرفة تقوية. وقال الحافظ أبو الطاهر البستاني: روى من طرق وتقوياً بها، وركناً إليها، وعرفوا صحتها، وعلوا عليها. وقال المزri: روى من طرق تبلغ رتبة الحسن.

(٣) أخرجه الخطيب في التاريخ /٩٢٤٧، وعزاه المتنرى في الترغيب /١٩٧ إلى البزار والطبراني في الأوسط.

(٤) أخرجه المدارمى /١٠٢-١٠٣، والطبرانى في الكبير /٢٢٦٨، قال الهيثى في مجمع الزوائد /١٣٣٠: رجاله موثقون.

قال المصنف: أحاديث الفضائل تسامح العلماء قديماً في روایتها عن كل، ولم ينتقدوا فيها كانتقادهم في أحاديث الأحكام، وبالله التوفيق.
قال كعب: ما خرج رجل في طلب علم إلا ضمّن الله السموات والأرض رزقه.

وقال إبراهيم النخعي: بلغنى أنه إذا كان يوم القيمة توضع حسنات الرجل في كفة وسيئاته في الكفة الأخرى، فتشيل حسناته، فإذا أيس وظن أنها النار جاء شعٌ مثل السحاب حتى يقع في حسناته، فتشيل سيئاته، فيقال له: أتعرف هذا من عملك؟ فيقول: لا، فيقال: هذا ما علّمت الناس من الخير، فعمل به من بعده.
وقال سفيان الثوري: لا أعلم من العبادة شيئاً أفضل من أن يعلم الناس العلم.

وعن سحنون بن سعيد أنه رأى عبد الرحمن بن القاسم في النوم، فقال له: ما فعل بك ربك؟ فقال: وجدت عنده ما أحببت، فقال له: أى أعمالك وجدت أفضل؟ قال: تلاوة القرآن، قال: قلت له: فالمسائل؟ فكان يشير بأصبعيه يثبها، قال: فكنت أسأله عن ابن وهب، فيقول لي: هو في عليين.
وقال عبد الله بن داود: إذا كان يوم القيمة وعزل الله عن العلماء عن الحساب، فيقول: ادخلوا الجنة على ما كان فيكم، إنني لم أجعل حكمتي فيكم إلا لخير أردته بكم. وزاد غيره في هذا الخبر: أن الله يحصر العلماء يوم القيمة في زمرة واحدة، حتى يقضى بين الناس، ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يدعو العلماء فيقول: يا معاشر العلماء! إنني لم أضع حكمتي فيكم وأنا أريد أن أعزبكم، قد علمت أنكم تخلطون من المعاصي ما يخلط غيركم، فسترتها عليكم وقد غفرتها لكم، وأنا كنت أعبد بفتياكم وتعاليمكم عبادي، ادخلوا الجنة بغير حساب. ثم قال: لا معطى لما منع،

ولامانع لما أعطي الله.

وقد روى نحو هذا المعنى بإسناد مرفوع متصل.

فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: يبعث الله العباد يوم القيمة، ثم يميز العلماء، ثم يقول لهم: يا معاشر العلماء! إني لم أضع على فیکم لأعذبکم، اذهبوا فقد غفرت لكم.^(١)

وقال أبو القاسم أحمد بن عمر بن عبد الله بن عصفور رحمة الله لنفسه شعره هذا في العلم، وهو أحسن ما قيل في معناه:

مع العلم فلسلك حيث ماسلك العلم وعنك فكاشف كل من عنده فهم وعنون على الدين الذي أمره حتم وذو العلم في الأقوام يرفعه العلم فصحبتهم زين وخلطتهم غنم نجوم إذا ما غاب نجم بدا نجم ولا لاح من غير الأمور لنار سرم	فيه جلاء للقلوب من العمى فإنني رأيت الجهل يزري بأهله فخالط طرواة العلم وأصحاب خيارهم ولا تدعون عيناكم عنهم فإنهم فوالله لو لا العلم ما اتضحت الهدى
--	--

ولبعض الحكماء:

بنور العلم يكشف كل ريب فأهل العلم في رحب وقرب إذا عملوا بما علموا فكل فإن سكتوا ففكروا في معاد	ويتصرون وجه مطلب المريد لهم مما اشتهروا أبداً مزيد له مما ابتغاه ما يرید وإن نطقوا فقولهم سديد
---	---

قال ميمون بن مهران: بمنفسي العلماء هم ضالقى في كل بلد، وهو بغىتي إذا لم أجدهم، وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء.

وقال سابق البلوى المعروف بالبربرى في قصيدة له:

(١) أخرجه الطبراني في الصغير ٣٥٤ / ١ بسند ضعيف.

كما يجلى سواد الظلمة التمر
والعلم يجلو العنى عن قلب صاحبه
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها
ولا البصير كأعمى ماله بصر

وعن عبد الله بن عمر بن العاص أن رسول الله ﷺ من بمجلسين في مسجده، وأحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والأخر يتعلمون الفقه ويعلمونه، فقال رسول الله ﷺ : كلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من الآخر صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، فإن شاء أعطهم، وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلماً ثم أقبل فجاس معهم.^(١)

وقال عبيد الله بن أبي جعفر: العلماء منار البلاد، منهم يقتبس النور الذي يهتدى به.

وقال ابن مسعود: نعم المجلس مجلس تنشر فيه الحكمة، وترجى فيه الرحمة، وقال الحسن: من طب الحديث يريد به وجه الله كان خيراً مما طلعت عليه الشمس.

وقال الزهري: ما عبد الله بمثل العلم.

وقال إسحاق بن إبراهيم بن بسطاس: قال لى عمر مولى غفرة: يا إسحاق! عليك بالعلم، فإنه لا يعدك منه كلمة تدل على هدى، أو أخرى تنهى عن ردئ.

قال ابن سيرين: دخلت المسجد، والأسود بن سريع يقصن، وقد اجتمع أهل المسجد، وفي ناحية أخرى من المسجد حلقة من أهل الفقه يتحدثون بالفقه ويتذاكرون، فركعت ما بين حلقة الذكر وحلقة الفقه، فلما فرغت من السبحة قلت: لو أتيت الأسود بن سريع فجلست إليه فعسى

(١) أعرجه ابن ماجه (٢٢٩) والدارمي / ١١١ ياستاد ضعيف.

أن يصيّبهم إجابة أو رحمة فتصيبني معهم، ثم قلت: لو أتيت الحلقة التي يتذكرون فيها الفقه فتفقهت معهم لعلى أسمع كلمة أسمعها فأعمل بها، فلم أزل أحدث نفسي بذلك وأشاورها حتى جاوزتهم، فلم أجلس إلى واحد منهم وانصرفت، فأتأتني أث فى المنام، فقال: أنت الذى وقفت بين الحلقتين؟ قلت: نعم، قال: أما إنك لو أتيت الحلقة التى يتذكرون فيها الفقه لو جدت جبريل معهم.

ولما حضرت معاذ بن جبل عليه السلام الوفاة قال لجاريته: ويحك هل أصبحنا؟ قالت: لا، ثم تركها ساعة، ثم قال: انظري، فقالت: نعم، فقال: أعود بالله من صباح إلى النار، ثم قال: مرحباً بالموت، مرحباً بزائر جاء على فاقه، لا أفلح من ندم، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب البقاء فى الدنيا لجري الأنهر ولا لغرس الأشجار، ولكن كنت أحب البقاء لمكافحة الليل الطويل ولظماء الهواجر فى الحر الشديد ولزاحمة العلماء بالركب فى حلقة الذكر، وقال عمار بن الواهب - وكان من العاملين لله عليه السلام فى دار الدنيا - قال:رأيت مسكينة الطغارية فى منامي، وكانت من المواطنات على حلقة الذكر، قلت: مرحباً يا مسكينة! قالت: هيهات! ذهبت والله يا عمار المسكينة، وجاء الغناء الأكبر، قلت هيء؟ قالت: عما تسأل؟ ومن أتيح له الجنة بحذايرها فتذهب حيث شاءت، قال: قلت: لم ذلك؟ قالت: بمحالس الذكر والصبر على الفقر.

عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله عليه السلام: العالم أمين الله في الأرض.^(١)

ومن الحسن في قوله تعالى "رَبَّنَا أَتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَّفِي الْآخِرَةِ

(١) آخر جهه أبو يعلى والديلمي (فيض القدير ٤/٤٨٧) قال العراقي في تخريج الإحياء ١/٦: أخرجه ابن عبد البر بسنده ضعيف.

حسنَةٌ [البقرة: ٢٠١] قال: **الحسنة في الدنيا العلم والعبادة، والحسنة في الآخرة الجنة.**

وقال ابن وهب: سمعت سفيان الثوري يقول: **الحسنة في الدنيا الرزق الطيب والعلم، والحسنة في الآخرة الجنة.**

قال الحسن: إن الرجل ليتعلم الباب من العلم فيعمل به خير من الدنيا وما فيها.

وكان عبد الله بن مسعود إذ أرأى الشباب يطلبون العلم يقول: **مرحباً ببنابيع الحكمة ومصابيح الظلم، خلقان الثياب جدد القلوب، حبس البيوت ريحان كل قبيلة.**

وقال الحسن: **العالم خير من الزاهد في الدنيا المجتهد في العبادة، ينشر حكمة الله، فإن قبلت حمد الله، وإن ردت حمد الله.**

وقال ابن مسعود: **لا يزال الفقيه يصلى، قالوا: وكيف يصلى؟ قال: نذكر الله تعالى على قلبه ولسانه.**

قال أبو الحسن العدائيني: خطب زياد ذات يوم على منبر الكوفة فقال: أيها الناس! إني بنت ليلتي هذه مهتماً بخلال ثلاث، رأيت أن أتقدم إليكم فيهن بالنصيحة: رأيت إعظام ذوى الشرف وإجلال ذوى العلم وتقدير ذوى الأسنان، والله لا أؤتى برجل رد على ذى علم ليضع بذلك منه إلا عاقبته، ولا أؤتى برجل رد على ذى شيبة ليضعه بذلك إلا عاقبته، إنما الناس بأعلامهم وعلمائهم وذوى أسنانهم.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: **ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويُوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا يعني حقه.**^(١)

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٣١٣٥) ٢٥٧ / ١١١ والحاكم ١ / ١٩١٩ من حديث عبادة بن الصامت، وحسنه المنذري في الترغيب ١ / ١٤، وراوه الترمذى (١٩١٩) من حديث أنس مختصرًا.

قال أبو غنيمة الخولاني: رب كلمة خير من إعطاء المال.
 وقال أبسان بن سليم: كلمة حكمة لك من أخيك خير لك من مال
 يعطيك، لأن المال يطفيك والكلمة تهديك.
 وقال صالح المرى: سمعت الحسن - يعني البصري - يقول: الدنيا
 كلها ظلمة إلا مجالس العلماء.
 وقال ميمون بن مهران: إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد.
 وقال عبد الله بن المبارك: خير سليمان بن داود بين الملك والعلم،
 فاختار العلم، فاتاه الله الملك والعلم منه باختياره العلم.
 قال بعض الأدباء:

إن ولدته أباء المؤام
 يعظم قدره القوم الكرام
 كراع الضأن تتبعه السوام
 ومن يك عالما فهو الأمام
 ولا عرف الحلال ولا الحرام
 وبالجهل المذلة والر GAM
 ومصباح يضيء به الظلام
 من الله التحية والسلام

رأيت العلم صاحبه شريف
 وليس يزال يرفعه إلى أن
 ويتبعونه في كل أمر
 ويحمل قوله في كل أفق
 فلولا العلم ما سعدت نفوس
 وبالعلم النجاة من المخازى
 هو الهدى الدليل إلى المعالى
 كذلك عن الرسول أتي عليه

وهذه الأبيات نسبها بعض الناس إلى منصور بن الفقيه، وليس له،
 وإنما هي لبكر بن حماد صحيحة، وأنشداها عنه جماعة.

وقال معاذ بن جبل ﷺ: تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية، وطلبه
 عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عن جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة،
 وبذلك لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو

الأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على النساء والضراء، والسلاح على الأعداء، والذين عند الأخلاص، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتضي أثارهم، ويقتدي بأفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، ترحب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تسحّهم، يستغفّلهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأ بصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأ خيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، التفكير فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحال من الحرام، هو إمام العمل والعمل تابعه، ويلهمه السعادة، ويحرمه الأشقياء.^(١)

وقال علي بن معيبد: رأيت في المنام كأن أصحاب الحديث عندي وأنا أذم طلاب الحديث كما كنت أذمهم في اليقظة، فكنت أتكلّم فيهم، فجاءني شيخ أبيض الرأس واللحية، فقام بين يدي ورفع يديه، وقال: قال ابن مسعود: يرفع حجاب ويوضع حجاب لطالب العلم حتى يصل إلى رب هذا. وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع.^(٢)

قال سفيان الثوري: ما يراد الله هذا بشيء أفضل من طلب العلم، وما طلب العلم في زمان أفضل منه اليوم.

وقال الحسن: إن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فينتفع به، فيكون خيرا له من الدنيا لو جعلها في الآخرة، قال المصنف: حسبك بقوله لجعلها في الآخرة.

(١) رواه المصنف موقعاً ومرفوعاً، وقال: روينا من طرق شتى موقعاً، وهذا ترجيح منه للرواية الموقعة، وقال المنذرى أيضاً في الترغيب ١/٩٥: رفعه غريب جداً.

(٢) أخرجه الترمذى ٢٦٤٧ وقال: حديث حسن غريب.

قال عبد الرزاق: سمعت سفيان يقول لرجل من العرب: ويحكم، اطلبوا العلم، فإني أخاف أن يخرج العلم من عندكم، فيصير إلى غيركم، فتزلون، اطلبوا العلم، فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة.

وقال خالد بن خداش البغدادي - وكان ثقة -: ودعت مالك بن أنس، فقلت: يا أبي عبد الله! أوصني، فقال: عليك بتقوى الله في السر والعلانية، والنصح لكل مسلم، وكتابة العلم من عند أهله.

وقال أبو بكر قاسم بن مروان الوراق:

أنت إلينا بهذا الأنباء، والكتب	والعلم زين وتشريف لصاحبها
فكيف من كان ذا علم له حسب	والعلم يرفع أقوا ما بلا حسب
فما سوى العلم فهو اللهو واللعب	فاطلب بعلمك وجه الله محتسباً

وفي حكمة داود عليه السلام: العلم في الصدر كالمصباح في البيت.
وقيل لبعض حكماء الأوائل: أي الأشياء ينبغي للعالم أن يقتبسها؟
قال: الأشياء التي إذا غرقت سفينته سبحت معه يعني العلم.

وقال غيره منهم: من أتخذ العلم لجاماً اتخذ الناس إماماً، ومن عرف بالحكمة لا حظته العيون بالوقار،

قال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني! تعلموا العلم، فإن استغفيناكم لكم كمالاً، وإن افتقرتم كان لكم مالاً.

وقال أبو الدرداء: يرزق الله العلم السعداء، ويحرمه الأشقياء.
وقال علي عليه السلام: العلم خير من المال، لأن المال تحرسه والعلم يحرسك، والمال تقنيه النفقة والعلم يذكر على الإنفاق، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، مات خزان المال وهو أحيا، والعلماء باقون مابقى الدهر، أعيانهم مفقودة وأثارهم في القلوب موجودة.

قال المصنف : من قول على هذا أخذ سابق البربرى قوله والله أعلم:
 موت التقى حياة لا انقطاع لها قد ملت قوم وهم في الناس أحياه
 قال إسماعيل بن جعفر بن سليم الهاشمى : عجبت لمن لم يكتب
 العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة .

قال معتمر بن سليمان : كتب إلى أبي وأنا بالكوفة : يا بني !
 اشتراوْرَق واكتب الحديث ، فإن العلم يبقى والدنانير تذهب .

وقال بعض العلماء : من شرف العلم وفضله أن كل من نسب إليه
 فرح بذلك وإن لم يكن من أهله ، وكل من دفع عنه ونسب إلى الجهل عز عليه
 ونال ذلك من نفسه وإن كان جاهلاً .

قال الزهرى : العلم ذكر يحبه ذكرة الرجال ويكرهه مؤنثوهم .

وقال سفيان الثورى : مامن شئ أخوف عندي من الحديث ، وما من
 شئ أفضل منه لمن أراد به الله ﷺ .

وقال أيضاً : ما على الرجل لو جعل هذا الأمر بيته وبين نفسه يعني
 الفقه والأثار .

قال بعض الحكماء : من الدليل على فضيلة العلم أن الناس تحب طاعتهم .

وقال عمر بن الخطاب : أيها الناس ! عليكم بطلب العلم فإن الله
 [جعله] رداء محبه ، فمن طلب ببابا من العلم رداء الله بردائه ذلك ، فإن أذنب
 ذنباً استغتبه لثلايس لبله رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت .

وعن أنس ﷺ أن أخويين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، كلن أحد هما
 يحضر حديث النبي ﷺ ومجلسه ، وكلن الآخر يقبل على صنعته ، فقل : يا رسول
 الله ! أخي لا يعنني بشئ ، فقال رسول الله ﷺ : فلعلك ترزق به .^(١)

(١) أخرجه الترمذى (٢٣٤٥) وقال : حديث حسن صحيح .

وقال عون بن عبد الله: من كمال التقوى أن تطلب إلى ما قد علمت علم مالم تعلم، واعلم أن التفريط فيما قد علمت ابتغاء ترك الزيادة فيما قد علم قلة الانتفاع بما علم.

وقال إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي لمن لم يكتب العلم: كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة.

قال جعفر بن محمد الكمال: كل الكمال التفقه في الدين، والصبر على النائية، وتدبير المعيشة. قال: وما موت أحد أحب إلى إبليس من موت فقيه. وقال بعض الحكماء: من الدليل على فضيلة العلماء أن الناس تحب طاعتهم.

وكان يقال: العلم أشرف الأحساب، والأدب والمروة أرفع الأنساب. وقال بعض الحكماء: أفضل العلم وأولى ما نافست عليه منه علم ماعرفت به الزيادة في دينك ومرؤتك.

وقال الأحنف: كاد العلماء أن يكونوا أرباباً، وكل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل ما يصير.

ويقال: مثل العلماء مثل الماء حيثما سقطوا نفعوا.

وقال أبو الأسود الدؤلي: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك، قيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء؟ قال: لمعرفة العلماء، بفضل الغنى وجهل الأغنياء بفضل العلم.

وقالت امرأة لإبراهيم النخعي: يا أبا عمران! أنتم عشر العلماء أحدهم الناس وألوم الناس، فقال لها: أما ما ذكرت من الحدة فإن العلم معنا والجهل مع مخالفينا، وهم يأبون إلا دفع علمنا بجهلهم، فمن ذا يطيق الصبر على هذا، وأما اللوم فأنتم تعلمون تعذر الدرهم الحلال وإنما لا نبتفى الدرهم إلا حلالا، فإذا صار إلينا لم نخرجه إلا في وجهه الذي لا بد منه.

وقالوا: العلماء في الأرض كالنجوم في السماء، والعلماء أعلام الإسلام،
والعالم كالسراج من مر به اقتبس منه، ولو لا العلم كان الناس كالبهائم.
وقال الحسن: كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في
تشعه وبصره ولسانه ويده وصلاته وزهده، وإن كان الرجل ليصيّب
الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيراً له من الدنيا وما فيها لو كانت له
جعلها في الآخرة.

وكان الحسن يقول: والله ما طلب هذا العلم أحد إلا كان حظه منه ما أراد.
قال مصعب بن عبد الله: قال لنا أبي: اطلبوا العلم، فإن يكن لك مال
أجداك جمالاً، وإن لم يكن لك مال أكسبك مالاً.

قال المصنف: أخذه بعض المتأخرين وهو على بن محمد الكاتب
البستى فقال:

دعوتى وأمرى واختبارى فإننى بصیر لاما أفری وأبرم من أمرى	إذا ما مضى يوم ولم أصنع يداً ولم أقتبس علماما هو من عمرى
--	---

وكتب رجل إلى أخ له: إنك قد أتيت علما فلا تطفئ نور علمك
بظلمات الذنوب، فتبقى في ظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم إلى الجنة.
وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ما أهدى المرء لأخيه هدية
أفضل من كلمة يزيده الله بها هدى أو يرده بها عن ردى. ^(١)

قال كعب: أوحى الله ﷺ إلى موسى عليه السلام: تعلم الخير، وعلمه الناس،
فإنى منور لعلم العلم ومتعلم قبورهم حتى لا يستوحشوا المكانهم.

وقال الأزدي: سألت ابن عباس عن الجهاد، فقال: ألا أذلك على ما
هو خير لك من الجهاد؟ تبني مسجداً تعلم فيه القرآن وسنن النبي ﷺ والفقه

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢٨٠ من حديث عبدالله بن عمرو بسنده ضعيف.

في الدين.

وعن تعميم الدارى قال: تطاول الناس في البناء زمان عمر بن الخطاب عليه السلام فقال: يا معاشر العرب! الأرض الأرض إنها لا إسلام إلا بجماعة، ولا إمارة إلا بطاعة، ألا فمن سوده قومه على فقه كان ذلك خيراً له، ومن سوده قومه على غير فقه كان ذلك هلاكاً له ولمن اتبعه.

قال المبرد: كان يقال: تعلموا العلم، فإنه سبب إلى الدين، ومن يهه للرجل، ومؤنس في الوحشة، وصاحب في الغربة، ووصلة في المجالس وجالب للمال، وذرية في طلب الحاجة.

وقال ابن المقفع: اطلبوا العلم، فإن كنتم ملوكاً برزتهم، وإن كنتم سوقة عشتم.

وقال أيضاً: إذا أكرمك الناس بمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك، فإن زوال الكرامة بزوالها، ولكن ليعجبك إذا أكرموك لعلم أو دين.

ويقال: ثلاثة لا بد لصاحبها أن يسود: الفقه، والأمانة، والأدب.

وقيل للقمان الحكيم: أي الناس أفضل؟ قال: مؤمن عالم، إن ابتغى عنده الخير وجد.

وقال الحجاج لخالد بن صفوان: من سيد أهل البصرة؟ فقال له: الحسن، فقال: وكيف ذلك وهو مولى؟ فقال: احتاج الناس إليه في دينهم واستغنى عنهم في دنياهم، وما رأيت أحداً من أشرف أهل البصرة إلا وهو يروم الوصول في حلقته إليه ليستمع قوله وكتب علمه فقال الحجاج: هذا والله السؤدد.

ورويانا أن معاوية بن أبي سفيان حج في بعض الحجات، فابتني بالأبطح مجلساً، فجلس عليه ومعه زوجته إبنة قرظة بن عمرو بن نوفل، فإذا هو بجماعة على رجال لهم، وإذا شاب منهم قد رفع عقيرته يغنى:

أَخْضَرَ الْجَلْدَةَ مِنْ بَيْتِ الْعَرْبِ
يَمْلأُ الدَّلْوَى لِعَدَ الْكَرْبَ
وَأَنَا أَخْضَرُ مَنْ يَعْرَفُنِي
مِنْ يَسَاجِلُنِي يَسَاجِلُ مَا جَدَ

فَقَالَ مَعَاوِيَةَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: فَلَانُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ:

خَلْوَالَهُ الطَّرِيقُ فَلَيَذَهِبُ، ثُمَّ إِذَا هُوَ بِجَمَاعَةِ فِيهِمْ غَلَامٌ يَغْنِيَ
بِيَنْمَا يَذَكِّرُنِي أَبْصَرَنِي
عِنْدَ قَدْمِ الْمَيْلِ يَسْعِيَ بِيَ الأَغْرِ
قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهُلْ يَخْفِيَ الْقَمَرَ

قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، قَالَ: خَلْوَالَهُ
الطَّرِيقُ فَلَيَذَهِبُ، ثُمَّ إِذَا هُوَ بِجَمَاعَةِ حَوْلِ رَجُلٍ يَسْأَلُونَهُ، فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ:
رَمِيتُ قَبْلَ أَنْ أَحْلَقَ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمَى، يَسْأَلُونَهُ عَنْ
أَشْيَاءَ أَشْكَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجَّ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عُمَرَ، فَالْتَّفَتَ إِلَى زَوْجِهِ ابْنَةِ قَرْظَةَ فَقَالَ: هَذَا وَأَبِيكَ الشَّرْفُ، وَهَذَا وَاللَّهِ
شَرْفُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَيْنَةَ فِي قَوْلِهِ **كُلُّكُمْ أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ** [الأحقاف: ٤]
قَالَ: الرَّوَايَةُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

بـاـبـ

فـضـلـ الـتـعـلـمـ فـيـ الصـفـرـ وـالـحـضـ عـلـيـهـ

عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ : أيمانا شع نشا في طلب العلم والعبادة حتى يكبر وهو على ذلك كتب الله له أجر سبعين صديقا. ^(١)

و عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : من تعلم العلم وهو شاب كان كوشم حجر، ومن تعلم العلم بعد ما يدخل في السن كان كالكاتب على ظهر الماء. ^(٢)

وقال الحسن: طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر.
وقال علقمة: أما ما حفظت وأنا شاب فكأني أنظر إليه في قرطيس أو ورقه.
وقال الحسن بن علي لبنيه ولبني أخيه: تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم تكونوا كبارهم غدا، فمن لم يحفظ فليكتب.
قال الأعمش: قال لى إبراهيم وأنا شاب في فريضة: احفظ هذه، لعلك أن تسأل عنها.

وكان عروة بن الزبير يقول لبنيه: يا بني! [إن] أزهد الناس في عالم أهله، فهلموا إلى فتعلموا مني، فإنكم توشكون أن تكونوا كبار قوم، إنني كنت صغيراً لا ينظر إلى، فلما أدركت من السن ما أدركت جعل الناس يسألونني، وما شع أشد على أمرى من أن يسأل عن شئ من أمر دينه فيجهله.

وقال سابق البربرى رحمه الله:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل وليس ينفع عند الكثرة الأدب

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٥٩٠) / ٨١٢٩ بأسناد ضعيف، وفيه: أثني وسبعين صديقا.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير بسند ضعيف. قاله الهيثمي في مجمع الزوائد / ١٣٣

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب
ويقال في مثل هذا: إنما يطبع الطين إذا كان رطباً.
وكان يقال: من أدب ولده أرغم أنف عدوه.
وقال محمد بن سيرين: كانوا يقولون: أكرم ولدك، وأحسن أدبه.
قال يحيى بن أبي كثير: قال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه:
من أراد أن يغطي عدوه فلا يرفع العصا عن ولده.

قال أبو عبد الله نفطويه:
أراني أنسى ماتعلمت في الكبر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبا
ولو فلق القلب المعلم في الصبا
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف
وما المرء إلا اثنان عقل و منطق

ولست بناسٍ ما تعلمت في الصغر
وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر
لأنفِ فيه العلم كلنخش في الحجر
إذا كَلَ قلب المرء والسمع والبصر
فمن فاته هذا وهذا فقد دمر

فليس بمنافع قدم الولادة

ر بالفتى المرزوق ذهنا
في فوق أكبر منه سنا

وقال يوسف بن يعقوب بن الماجشون: قال لنا ابن شهاب ونحن
نسأله: لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا
نزل به الأمر المضلل دعا الفتىأن فاستشارهم، يتبع حدة عقولهم.
وعن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله ﷺ وأنا شاب قلت لشاب
من الأنصار: يا فلان! هلم فلنسائل أصحاب رسول الله ﷺ ولنتعلم منهم

فإنهم كثيرون، قال: العجب لك يا ابن عباس! أترى الناس يحتاجون إليك وفي الأرض من ترى من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: فتركت ذلك وأقبلت على المسألة وتتبع أصحاب رسول الله ﷺ، فإن كنت لاترى الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله ﷺ، فأجده قائلاً، فأتو سود ردائى على بابه، تسفى الريح على وجهى حتى يخرج، فإذا خرج قال: يا ابن عم رسول الله ﷺ! مالك؟ فأقول: بلغنى حديث عنك أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، فأحبابت أن أسمعه منك، قال: فيقول: فهلا بعثت إلى حتى أتيك، فأقول: أنا أحق أن أتيك، فكان الرجل بعد ذلك يراني وقد ذهب أصحاب رسول الله ﷺ واحتاج الناس إلى فيقول: كنت أعقل مني.^(١)

وقال عمر رضي الله عنه: تفهوا قبل أن تسودوا.

وقال عبد الله بن مسعود: تعلموا فإن أحدهم لا يدرى متى يخبل إليه.

وقال عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون: أتتى المنذر بن عبد الله الحزامي وأنا حديث السن، فلما تحدثت اهتز إلى على غيري لمارأى ففي بعض الفصاحه، فقال لي: من أنت؟ فقلت له: عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة، فقال: اطلب العلم، فإن معك حذاءك وسقاءك.

وقال موسى بن علي عن أبيه: إن لقمان الحكيم قال لابنه: يا بني! ابتغ العلم صغيراً، فإن ابتغا العلم يشق على الكبير.

وقال إبراهيم بن المنذر الحزامي: مارأيت شاباً قط لا يطلب العلم ولا سيما إذا كانت له حدة إلا رحمته.

وقال ابن مسعود: عليكم بالعلم، فإن أحدهم لا يدرى متى يفتقر إليه - أو إلى ما عندة - .

باب

ذكر الرحلة في طلب العلم

عن أبي موسى الأشعري رض قال: قال رسول الله ص: أيمارجل كانت عنده وليدة، فعلها وأحسن تعليمه، وأدبها فأحسن تأدبيها، وأعتقها فتزوجها، فله أجران، وأيما مملوك أدى حق مواليه وأدى حق ربه، فله أجران. وكان الشعبي يقول بعد روایة هذا الحديث: خذها بغير شع، فقد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة.^(١)

وعن جابر بن عبد الله قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله ص، فابتعدت بعياراً، فشدّدت عليه رحلي، ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أنيس الأنصاري، فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابراً على الباب، فرجع إلى الرسول، فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم، فخرج إلى فاعتنقه واعتنقني، قال: قلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ص في المظالم لم أسمعه أنا منه، قال: سمعت رسول الله ص يقول، فذكر الحديث...^(٢)

ورحل أبو أيوب إلى عقبة بن عامر، فلما قدم مصر أخبروا عقبة فخرج إليه، قال: حدثنا ما سمعته من رسول الله ص في ستر المسلم لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك، قال سمعت رسول الله ص يقول: من ستر مسلماً على خزية ستره الله يوم القيمة. فأتى أبو أيوب راحلته فركبها وانصرف إلى المدينة وما حل رحله.^(٣)

(١) أخرجه البخاري (٥٠٨٣) ومسلم (٣٨٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٦١٣٨) ٤٩٥/٣، وصححه الحاكم ٤٧٦-٤٧٥/٢ ووافقه النهبي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٢٥٢٦) ١٥٣/٤.

قال ابن عباس: كان يبلغنا الحديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، فلو أشأ أن أرسل إليه حتى يجيئني فيحدثني فعلت، ولكن كنت أذهب إليه فأقبل على بابه حتى يخرج إلى فيحدثني.

قال سعيد بن المسيب: إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد.

وروى أن مسروقاً رحل في حرف، وكذلك رحل أبو سعيد في حرف.

قال الشعبي: ما علمت أن أحداً من الناس كان أطلب لعلم في أفق من الأفاق من مسروق.

وقال بسر بن عبد الله الحضرمي: إن كنت لأركب إلى المسر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه.

وقال مالك بن دينار: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن اتخذ نعلين من حديد وعصاً من حديد، ثم اطلب العلم، وانعبر حتى تخرق نعليك أو تخلق نعالك وتنكسر عصاك.

وقال الشعبي: لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسعه كلمة ما رأيت أن سفره ضاع.

باب

الحضر على استدامة الطلب والصبر على الألواء والنصب

قال أنس بن مالك: لا ينبغي لأحد يكون عنده العلم أن يترك التعلم.
 وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: إن من معادن التقوى تعلمك إلى ما قد علمت علم مالم تعلم، والنقص فيما علمت قلة الزيادة فيه، وإنما يزهد الرجل في علم مالم يعلم قلة انتفاعه بما علم.^(١)
 وقال ابن عباس: منهومان لا تنقضى نهمتها، طالب علم وطالب دنيا، وروى مرفوعاً من حديث أنس وغيره.^(٢)
 وعن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من جاءه أجله وهو يطلب علمأً يحيى به الإسلام لم تفضلة النبيون إلا بدرجة.^(٣)
 وعن أبي هريرة وأبي ذر جعفراً أنها سمعاً رسول الله ﷺ يقول: إذا جاء الموت طالب العلم وهو على تلك المائة مات شهيداً.^(٤)
 وروى أن المسيح ﷺ قيل له: إلى متى يحسن التعلم؟ قل: ما حسنت الحياة.
 وقيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قل: حتى العمات إن شاء الله،
 وقيل له مرة أخرى مثل ذلك، فقال: لعل الكلمة التي تنفعنى لم أكتبها بعد ذلك.
 وسئل أبو عمر بن العلاء: حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم؟ فقال:
 مادام تحسن الحياة.

وسئل سفيان بن عيينة: من أحوج الناس إلى طلب العلم؟ قال:
 أعلمهم، لأن الخطأ منه أقبح.

(١) آخرجه الطبراني في الأوسط (٢٤٢٩) / ٦٤ و الحطيب في تاريخ بغداد ٤١/٤١ بأسناد ضعيف.

(٢) آخرجه الحاكم ١٦٩ / ١ وصححه على شرط الشيخين، ووافقه النهي.

(٣) آخرجه الحطيب في التاريخ ٧٨ / ٣، ورواه الدارمي ١١٢ عن الحسن مرسلاً.

(٤) مرتخرجه.

وقال المنصور بن المهدى للمامون: أىحسن بالشيخ أن يتعلم؟

فقال: إن كان الجهل يعيبه فالتعلم يحسن به.

وقال ابن غسان: لاتزال عالماً ما كنت متعلماً، فإذا استغنىت كنت جاهلاً.

وروي لنا عن ابن عباس رض أنه قال: وجدت عامة علم أصحاب

**رسول الله ص عند هذا الحى من الأنصار، إن كنت لأقيل بباب أحدهم، ولو
شئت أذن لي، ولكن أبتغى بذلك طيب نفسه.**

وعن أبي هريرة قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولو لا

أيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم تلا إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ

مِنَ الْكِتَابِ [البقرة: ١٧٤] و إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنْزَلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

وَالْهُدَى [البقرة: ١٥٩]، وإن إخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصدق بالأسواق

وإخواننا الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبو هريرة كان يلزم

رسول الله ص ليشبع بطنه ويحضر مالاً يحضرون. ^(١)

قال المصنف رحمة الله : في هذا الحديث من الفقه معان، منها أن

الحديث عن رسول الله ص حكم كتاب الله المنزل، ومنها إظهار العلم

ونشره وتعليمه، ومنها ملازمة العلماء والرضى باليسير للرغبة، ومنها الإيثار

لعلم على الاشتغال بالدنيا وبكسبها.

قال أبو الزناد: رأيت عمر بن عبد العزيز يأتي عبيد الله بن عبد الله

يسأله عن علم ابن عباس، فربما أذن له وربما حجبه.

وقال ابن المبارك:

آخر العلم لذىذ طعمه وبدئ الذوق منه كالصبر

وكان مالك يقول: إن هذا الأمر لن ينال حتى يذاق فيه طعم الفقر.

^(١) أخرجه البخاري (٨١١) ومسلم (٦٣٩٧).

ونذكر مانزل بربيعة من الفقر في طلب العلم حتى باع خشب سقف بيته في طلب العلم، وحتى كان يأكل ماليلقى على مزابل المدينة من الزيت وعصارة التمر.
وقال شعبة: من طلب الحديث أفلس.

وروى عن شعبة أيضاً أنه قال: ليبلغ الشاهد منكم الغائب: من ألح في طلب العلم أورثه الفقر.

وقال أبو يوسف: لقد طلبنا هذا العلم، وطلبه معنا من لا تحصيه كثرة، فما انتفع به منا إلا من دبغ اللبن قلبه، وذلك أن أبا العباس لما أفضى إليه الأمر ببعث إلى المدينة، فأقدم إليه عامة من كان فيها من أهل العلم، فكان أهلاً نادون لنا خبزاً يلطخونه لنا باللبن، فنفدوه في طلب العلم، ثم نرجع إلى ذلك فنأكله، فأماماً من كان ينتظر أن تصنع له هريسة أو عصيدة فكان ذلك يشغله حتى يفوته كل ما كنا نحن ندركه.

وقال سحنون: لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع، ولا لمن يهتم بغسل ثوبه.

وقال محمد بن الحسن: لا يفلح في هذا الأمر إلا من أحرق اللبن قلبه.

وقال الشافعي: لا يطلب هذا العلم أحد بالمال وعز النفس فيفلح،

ولكن من طلبه بهذه النفس وضيق العيش وحرمة العلم أفلح.

قال الشافعي: كنت يتيمًا في حجرأمي، فدفعوني في الكتاب ولم يكن عندها ما تعطى العلم، فكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، وكانت أسماع الحديث أو المسألة فأحفظها، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أشتري به قراطيس، فكنت إذا رأيت عظماً يلوح أخذه فأكتب فيه، فإذا امتلأ طرحته في جرة كانت لنا قديماً، قال: ثم قدم وال على اليمين فكلمه لي بعض القرشيين أن

أصحابه، ولم يكن عند أبي ما تعطيني أتجمل به، فرهنت ردائها بستة عشر ديناراً، فأعطيتني، فتجملت بها معه. فلما قدمنا اليمن استعملتى على عمل فحمدت فيه، فزادنى عملاً، فحمدت فيه، فزادنى عملاً، وقدم العماركة في رجب، فأثنوا علىّ، فطارلى بذلك ذكر، فقدمت من اليمن، فلقيت ابن أبي يحيى فسلمت عليه، فوبخنى وقال: تجالسوننا وتصنعون وتصنعون؟ فإذا شرع لأحدكم شيء دخل فيه ونحو هذا من الكلام، قال: فتركته، ثم لقيت سفيان بن عيينة، فسلمت عليه، فرحب بي وقال: قد بلغتنا ولا ينك فما انتشر عنك وما أديت كل الذي لله عليه ولا تعد، قال: فكانت موعظة سفيان إبّاى أبلغ مما صنع بي ابن أبي يحيى.

وقالوا: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقى في ذل الجهل أبداً.

وقال أىوب: إنك لا تعرف خطأ علمك حتى تجالس غيره.

وقال غالبقطان: أتيت الكوفة في تجارة، فنزلت قريباً من الأعمش، فكنت أختلف إليه، فلما كان ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة قام فتهجد من الليل، فقرأ هذه الآية "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْقَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْفَزِيرُ الْحَكِيمُ، إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" [آل عمران: ١٩] قال الأعمش: وأناأشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة، وهي لى عند الله وديعة، وإن الدين عند الله الإسلام، قالها مراراً، فغدوت إليه فودعته، ثم قلت: إني سمعتك تقرأ هذه الآية ترددتها فما بالفك فيها؟ أنا عندك منذ سنة لم تحدثني به، قال: والله لا أحدثنك به سنة، قال: فأقمت وكتبت على بابه ذلك اليوم، فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد! قد مضت السنة، قال: حدثني أبو وايل عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ي جاء ب أصحابها يوم القيمة،

فيقول الله تعالى: عبدى عهد إلى، وأنا أحق من وفى بالعهد، أدخلوا
عبدى الجنة.^(١)

وقال على ﷺ في خطبة خطبها: واعلموا أن الناس أبناء من يحسنون، وقدر كل أمرى ما يحسن، فتكلموا في العلم تتبعين أقداركم. ويقال: إن قول علي بن أبي طالب "قيمة كل امرى، ما يحسن" لم يسبقه إليه أحد. وقالوا: ليس كلمة أحض على طالب العلم منها. قالوا: ولا كلمة أضر بالعلم وبالعلماء وال المتعلمين من قول القائل: ماترك الأول للأخر شيئاً.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة.^(٢)

وقال قتادة: لو كان أحد يكتفى من العلم بشئ لا كتفى موسى عليه السلام، ولكنه قال: هل أتَيْكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا نَعْلَمْنَا رُشْدًا. [الكهف: ٦٦]

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٤٥٣) وابن عدى في الكامل ٥/٣٥ بسند ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذى (٢٦٨٦) وقال: حديث حسن غريب.

باب جامع

في الحال التي تناول بها العلم

قال عبد الله بن مسعود: إن الرجل لا يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم.
وقال أبو الدرداء: العلم بالتعلم.

وقال ابن شبيب: لا يكون طبع بلا أدب، ولا علم بلا طلب.
وقال علي عليه السلام في كلام له: العلم ضالة المؤمن، فخذوه ولو من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة من سمعها منه.
وعنه أيضاً أنه قال: تزاوروا وتذاكرو **والحديث**، فإنكم إن لم تفعلوا يدرس علمكم.

وقال ابن جرير: لم يستخرج الذي استخرجت من عطله إلا برفقى به.
وقال أبو سعيد الخدري: تحدثوا فإن الحديث يهيج الحديث.
وقال علقة: تذاكرو **الحديث**، فإن إحياءه ذكره.
وعن إسماعيل بن رجاء أنه كان يأتي صبيان الكتاب، فيعرض عليهم حديثه، كى لا ينسى.

وقال إبراهيم النخعي: إذا سمعت حديثاً فحدث به حين تسمعه،
ولو أن تحدث به من لا يشتته، فإنه يكون كالكتاب في صدرك.
وسئل بعض العلماء أو الحكمة: ما السبب الذي ينال به العلم ؟ قال:
بالحرص عليه يتبع، وبالحب له يستمع، وبالفراغ له يجتمع.
وقال سعيد بن جبير: لقد كان ابن عباس يحدثني بالحديث لو
يأذن لي أن أقوم فأقبل رأسه لفعلت.
وقال الخليل بن أحمد: كن على مدارسة مافي صدرك أحرص منك
على مدارسة ما في كتابك.

وقال إبراهيم النخعي: إنه ليطول على الليل حتى أصبح، فألقاهم فربما أدسه بيضني وبين نفسي، أو أحدث به أهلى، قال أبوأسامة: أدسه يقول: أحفظه.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلي: إن إحياء الحديث مذاكرته، فقال له عبد الله بن شداد: يرحمك الله، كم من حديث أحييته في صدرى قد كان مات. وقال عون بن عبد الله بن عتبة: لقد أتينا أم الدرداء فتحديثنا عندها، فقلنا: أملناك يا أم الدرداء! فقالت: ما أمللتوني، لقد طلبت العبادة في كل شيء، فما وجدت شيئاً أشفي لنفسي من مذاكرة العلم، أو قالت: من مذاكرة الفقه.

وقال الرياشي: سمعت الأصمى وقيل له: كيف حفظت ونسى أصحابك؟ قال: درست وتركوا.

وقال الفراء: لا أرحم أحداً كرحتى لرجلين: رجل يطلب العلم ولا فهم له، ورجل يفهم ولا يطلب، وإنى لأعجب من في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلم. ورأيت في بعض كتب العجم: سئل جالينوس: بم كنت أعلم قرنائك بالطلب؟ قال: لأنني أنفقت في زيت المصباح لدرس الكتب مثل ما أنفقوا في شرب الخمر.

وروى مثل هذا القول عن أفلاطون، والله أعلم.

وقيل لبزرجمهر: بم أدركت ما أدركت من العلم؟ قال: ببکور بکور الغراب، وصبر كصبر الحمار، وحرصن كحرصن الخنزير.

وسئل أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد عن رجل من أهل أفريقيا من جيرانه منسوب إلى العلم، قيل له: كيف منزلته من العلم؟ فقال: ما أدرى ما هو؟ بالليل يشرب وبالنهار يركب، فأنني له بالعلم!

وقال إبراهيم بن الأشعث: سألت فضيل بن عياض عن الصبر على

المصيبةات فقال: أن لا تبكي، وسألته عن الزهد، فقال: الزهد هو القناعة وهو الغنى، وسألته عن الورع، قال: اجتناب المحارم، وسألته عن التواضع، فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له من سمعته ولو كان أحيل الناس لزمه أن تقبله منه، قال: وكان يقال: علم علمك من يجهل، وتعلم من يعلم، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت.

وقال بعضهم:

لайдرك العلم إلا كل مشتعل بالعلم همت القرطاس والقلم

وقال رجل لأبي هريرة : إنني أريد أن أتعلم العلم، وأخاف أن أضيعه، فقال أبو هريرة: كفى بتركك له تضييعاً.

باب كيفية الرتبة فيأخذ العلم

قال يونس بن يزيد: قال لى ابن شهاب: يا يonus ! لا تكابر العلم فإن العلم أودية، فأيتها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشع بعد الشع مع الأيام والليالي.

وقال حماد بن زيد: كان الزهرى يحدث، ثم يقول: هاتوا من أشعاركم، هاتومن أحاديثكم، فإن الأذن مجالجة، وإن للنفس حمضة.

وقال الأصمى: وصلت بالعلم وكسبت بالملح.

وقالوا: من رق وجهه رق علمه.

وقال على ﷺ: أجمعوا هذه القلوب، وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنها تمل كمال الأبدان.

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول في مثل معنى هذا الباب:
 لا يصلح النفس إلا إذا كانت مصرفه إلا التنقل من حال إلى حال
 لا تلعن بك الدنيا وأنت ترى ماشت من عبر فيها وأنفعال

وقال عمارة بن غزية: كان القاسم بن محمد إذا كثروا عليه من المسائل قال: إن لحديث العرب وحديث الناس نصيباً من الحديث، فلاتكثروا علينا من هذا.

وقال أبو خالد الوالبي: كنا نجالس أصحاب النبي ﷺ فيتناشدون الأشعار، ويتداءكون أيامهم في الجاهلية.

قال أبو وائل شقيق بن سلمة: خرج علينا عبد الله بن مسعود

وقال: إني لأُخْبِرُ بِمَجْلِسِكُمْ، فَمَا يَعْنِي مِنْ خَرْجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا كُوَاهِيَّةُ مَلْكِهِ،

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامًا كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ مَخَافَةُ السَّلَامَةِ عَلَيْنَا.^(١)

وقال إِسْمَاعِيلُ الْمَوْصِلِيُّ: دَخَلَتْ عَلَى الأَصْبَعِيِّ، فَرَأَيْتَ بَيْنَ يَدِيهِ قَمِيطَرًا، فَقَلَّتْ: هَذَا عِلْمُكَ كُلَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ حَقِّ الْكَثِيرِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: الْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَحْلُطَ بِهِ، فَخَذُوا مِنْهُ أَحْسَنَهُ.

وَأَنْشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ مَصْعُبَ لَابْنِ عَبَّاسٍ:

مَا أَكْثَرُ الْعِلْمِ وَمَا أَوْسَعُهُ
مِنْ ذَا الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَجْمِعَهُ
إِنْ كُنْتَ لَا تَدْلِه طَالِبًا
مُحاوِلًا فَالْتَّمِسْ أَنْفُعَهُ

وَكَانَ يَقَالُ: الْعَالَمُ النَّبِيُّ الَّذِي يَكْتُبُ أَحْسَنَ مَا يُسْمِعُ، وَيَحْفَظُ
أَحْسَنَ مَا يُكْتَبُ، وَيَحْدُثُ بِأَحْسَنَ مَا يُحْفَظُ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ (٦٤١١) وَمُسْلِمٌ (٧١٢٩).

باب

ماروى عن لقمان الحكيم من وصيته ابنه وحصه إيه على مجالسة العلماء والحرص على العلم

عن سليمان التيمي قال: قال لقمان لابنه: يا بنى! ما بلغت من حكمتك؟ قال: لا أتكلف ما لا يعنىنى، قال: يا بنى! إنه قد بقى شئ آخر، جالس العلماء وزاحمهم بركتيك، فإن الله يحيى القلوب الميتة بالحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل السماء.
وعن لقمان أو عيسى عليه السلام أنه قال: كما ترك الملوك لكم الحكمة فما تركوا لهم الدنيا.

وعن ابن أبي حسين قال: بلغنى أن لقمان الحكيم كان يقول: يا بنى! لا تتعلم العلم لتبااهي به العلماء، وتمارى به السفلاء، وترائي به في المجالس، ولا تدع العلم زهداً فيه، ورغبة في الجهالة، يا بنى! اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يعلمونك، ولعل الله يطلع عليهم برحمة فتصيبك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يزيدوك غباء، ولعل الله أن يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم.

وكذا روى عن شهر بن حوشب أيضاً.

وعن زيد بن أسلم أن لقمان قال لابنه: يا بنى! لا تتعلم العلم لثلاث، ولا تدعه لثلاث: لا تتعلم لتمارى به، ولا لتبااهي به، ولا لترائي به، ولا تدعه زهادة فيه، ولا حياء من الناس، ولا رضا بالجهالة، قال زيد بن أسلم: كان

لقمان من النوبة.

وعن السرى قال: قال لقمان لابنه: يا بني ! إن الحكمة أجلست
المساكين مجالس الملوك.

ومن مواعظ لقمان لابنه أيضاً: لاتجادل العلماء فتهون عليهم
ويرفضوك، ولا تجادل السفهاء فيجهلوها عليك ويشتموك، ولكن اصبر نفسك
لمن هو فوقك في العلم ولمن هو دونك، فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم
ولزمهم واقتبس من علمهم في رفق.

باب

حمد السؤال والإلحاح في طلب العلم وذم ما منع

قال رسول الله ﷺ: شفاء العي السؤال.^(١)
 وقالت عائشة رضي الله عنها: نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن
 يمنعهن الحياة أن يسألن عن الدين ويتفقهن فيه.^(٢)
 وقالت أم سليم: يا رسول الله! إن الله لا يستحيى من الحق، هل
 على المرأة من غسل.^(٣)
 واستحبني على أن يسأل عن المدى لمكان رسول الله ﷺ من ابنته
 التي كانت عنده، فأمر المقداد وعماراً فسألاه رسول الله ﷺ عن ذلك.^(٤)
 وقال عبد الله بن مسعود: زيادة العلم الابقاء، ودرك العلم السؤال،
 فتعلم ما جهلت، واعمل بما عملت.

وقال ابن شهاب: العلم خزانة، مفاتحها المسألة.
 وعن ابن عباس أن رجلاً أصابه جرح على عهد رسول الله ﷺ ثم
 أصابه احتلام، فأمر بالاغتسال، فقرّ فمات، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال:
 قتلوه، قتلهم الله، ألم يكن شفاء العي السؤال! قال عطاء: وبلغنى أن النبي ﷺ
 قال: لو اغتسل وترك موضع الجراح.^(٥)

وعن عبد الله بن زيد أن معاوية بن أبي سفيان دعا عبد الله النساية
 فسألته عن أنساب الناس، وسألته عن النجوم، فإذا رجل

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٦) وابن ماجه (٥٧٢) وقال الحافظ في التلخيص ١/٤٧: صصحه ابن السكن.

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٠) وذكره البخاري تعليقاً في كتاب العلم (باب ٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٠) ومسلم (٧١٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٢) ومسلم (٦٩٥).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٣٧) وابن ماجه (٥٧٢).

عالٌ، فقال: يا دعبدل! من أين حفظت هذا؟ قال: حفظت هذا بقلب عقول، ولسان سؤول.

وقال عمر: من علم فليعلم، ومن لم يعلم فليسأل العلماء. ألا إن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف.

قال مكحول: قدمت دمشق وما أنا بشئ من العلم أعلم مني بکذا، لباب ذكره من أبواب العلم، قال فأمسك أهلها عن مسئلتي حتى ذهب.

وقال الخليل: العلوم أقفال والسؤالات مفاتيحها.
وكان الأصمعي ينشد:

شفى العم طول السؤال وإنما تعلم العم طول السكوت على الجهل

وقال سابق:

والعلم يشفى إذا اشتفى الجهول به
وبالدواء قد يمَا يحسن الداء

وقال آخر:

إذا كنت لا تدرى ولم تك بالذى يسأل من يدرى فكيف إذاً تدرى
ورويانا عن الخليل رحمه الله أنه قال: إن لم تعلم الناس ثواباً
فعلمهم لتدرس بتعليمك علمك، ولا تجزع من تقرير السؤال فإنه ينبهك على
علم مالم تعلم.

وقال وهب بن منبه وسليمان بن يسار: حسن المسألة نصف العلم،
والرفق نصف العيش.

وسئل الأصمعي: بم نلت ملئت؟ قال: بكثرة سؤالي وتلقى الحكمة الشرود.
قال محمد بن معن: قال لي عبد العزيز بن عمر: ما شئ إلا وقد
علمت منه إلا أشياء كنت أستحيى أن أسأله عنها، فكبرتُ وفني جهالتها.
وقال على: خمس أحفظوهن لو ركبتم الإبل لأنضيتموها قبل أن

تصيبوهن: لا يخاف عبد إلا ذنبه، ولا يرجو إلا ربه، ولا يستحيي جاهل
أن يسأل، ولا يستحيي عالم إن لم يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من
الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له، ولا إيمان
لمن لا صبر له.

وقال عليه السلام: قرنت الهيبة بالخيبة، والحياة بالحرمان.

وقال الحسن: من استتر عن طلب العلم بالحياء ليس للجهل سرّ بالله،
فاقتطعوا سراويلي الجهل عنكم بدفع الحيلة في العلم، فإنه من رق وجهه رق علمه.
وقال الخليل بن أحمد: الجهل منزلة بين الحياة والأنفة. وكان
يقال: من رق وجهه عن السؤال رق علمه عند الرجال، ومن ظن أن للعلم غاية
فقد بخسه حقه.

وقال يحيى بن أبي كثير: ميراث العلم خير من ميراث الذهب
والفضة، والنفس الصالحة خير من اللؤلؤ، ولا يستطيع العلم براحة الجسم،
وفى لفظ آخر: لا ينال العلم براحة البدن.

وقال يزيد بن علي بن حسين أيضاً: لا يستطيع العلم براحة الجسم.

وقال الأصمى: يعد من العلماء وليس منهم المعدد ماعنده، وهو الذى
إذا سئل عن الشئ قال: هو عندي في الطاق أو في الصندوق.
وقال إبراهيم بن المهدى: سل مسئلة الحمقى، واحفظ حفظ
الأكياس.

بَاب

أفة العلم وغائه وإضاعته وكراهيته وضعه عند من ليس أهله

قال الزهرى: إن للعلم غوائل، فمن غوائله أن يترك العلم حتى يذهب بعلمه، ومن غوائله النسيان، ومن غوائله الكذب فيه، وهو شر غوائله.

وقال: إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة.

وقال على: تذاكروا هذا الحديث، فإنكم إن لم تفعلا يدرس.

وقال الحسن: غائلة العلم النسيان وترك المذاكرة.

وعن الأعمش قال: قال رسول الله ﷺ: أفة العلم النسيان، وإضاعته

أن تحدث به غير أهله.^(١)

وقال على بن ثابت:

العلم أفتة الإعجاب والغضب والمال أفتة التبذير والنها

وقال شعبة: رأني الأعمش وأنا أحدث قوما، فقال: ويحك: يا

شعبة! تعلق اللؤلؤ أعناق الخنازير.

وقال صالح بن عبد القدوس:

إإن عنةً أن تفهم جاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أفهم

متى يبلغ البناء يوم تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقال أنس بن أبي شيخ: من كان حسن الفهم ردئ الاستماع لم يقم خيره بشره.

قال أبو فروة: إن عيسى بن مرريم كان يقول: لا تمنع الحكمة أهلهَا

(١) أخرجه الدارمى ١٥٨١ وابن أبي شيبة ٥٢٨٦ عن الأعمش مرسلا. وأخرج أوله القضاوى فى مسند الشهاب ١٧٨٣ من حديث أبي الدرداء، والطبرانى فى الكبير (٢٦٨٨) من حديث على.

فتائم، ولا تضيقها عند غير أهله فتجهل، ولكن طيباً رفياً يضع دواء هـ حيث يعلم أنه ينفع.

وقال الحسن: لو لا النسيان لكان العلم كثيراً.

وقال عكرمة: إن لهذا العلم ثمناً، قيل: ما ثمنه؟ قال: أن تضيقه عند من يحفظه ولا يضيئه.

قال عكرمة: قال عيسى ﷺ: لا تطرح اللؤلؤ إلى الخنزير، فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً، ولا تعطي الحكمة لمن لا يريد لها، فإن الحكمة خير من اللؤلؤ، ومن لا يريد لها شر من الخنزير.

وقال كثير بن مرة الحضرمي: إن عليك في علمك حقاً كما أن عليك في مالك حقاً، لا تحدث العلم غير أهله فتجهل، ولا تمنع العلم أهله فتائم، ولا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبواك، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقوتك.

وقال النبي ﷺ: واضح العلم في غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والذهب.^(١)

وعن أبي سعيد قال: تذاكرروا الحديث، فإن الحديث يهيج الحديث. فإن قال قائل: إن بعض الحكماء كان يحدث بعلمه صبيانه وأهله ولم يكونوا بذلك بأهل؟ قيل له: إنما فعل ذلك من فعله منهم لئلا ينسى.

فكان إسماعيل بن رجاء يجمع صبيان الكتاب يحدثهم لئلا ينسى حديثه، وكان عطاء الخراساني إذا لم يجد أحداً أتى المساكين فحدثهم، يريد بذلك الحفظ.

وكان خالد بن يزيد بن معاوية إذا لم يجد أحداً يحدثه يحدث جواريه، ثم يقول: إنني لأعلم أنك لنستن بأهل، يريد بذلك الحفظ. وقد كانوا يكرهون تكرير الحديث، وكان بعضهم وهو علامة يقول: كرروه لئلا يدرس، ولكل وجه لا يدفع، وبالله التوفيق.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤).

باب

فِي هِبَةِ الْمُتَعَلِّمِ لِلْعَالَمِ

عن ابن عباس قال: مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن حديث ما معنني منه إلا هيبته، حتى تخلف في حج أو عمرة في الأراك الذي ببطنه مر الظهران لحاجته، فلما جاء وخلوت به قلت: يا أمير المؤمنين! إني أريد أن أسألك عن حديث منذ سنتين ما يعنني إلا هيبة لك، قال: فلا تفعل، إذا أردت أن تسأل فسلني، فإن كان منه عندي علم أخبرتك، وإنما قلت: لا أعلم، فسألت من يعلم، قلت: من المرأتان اللتان ذكرهما أنها ظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ قال: عائشة و حفصة.^(١)

وقال سعيد بن المسيب: قلت لسعد بن مالك: إني أريد أن أسألك عن شئ وإنى أهابك، فقال: لا تهبني يا ابن أخي! إذا علمت أن عندى علما فسلنى عنه، قال: قلت: قول رسول الله ﷺ لعلى في غزوة تبوك حين خلفه؟ فقال سعد: قال رسول الله ﷺ: يَا عَلِيًّا! أَمَا ترْضِي أَن تكون مِنِي بِمَنْزِلَةِ هارون مِنْ مُوسَى.^(٢)

وقال طاوس: إن من السنة أن توقد العالم.

(١) أخرجه البخاري (٤٩١٣) و مسلم (٣٦٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٦) و مسلم (٦٢١٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**فِي ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ جَلْسَائِهِ بِالْفَائِدَةِ وَقُولَهُ سَلُونِي
وَحِرْصَهُ عَلَى أَنْ يَؤْخُذْ مَا عِنْهُ**

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ : خذوا عنى، خذوا عنى، قد جعل الله لهن سبيلاً، الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة، والبكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة.^(١)

وعن جابر أن رسول الله ﷺ رمى الجمرة يوم النحر على راحلته، وقال: خذوا عنى مناسككم، فإني لا أدرى لعلى لأحاج بعد حجتي هذه.^(٢) عن أنس أن النبي ﷺ كان في سفر، ومعه معاذ بن جبل رديفة على الرحل، فقال: يا معاذ! قال: ليك يا رسول الله! وسعديك ثلاثة، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه إلا حرمن الله عليه النار، قلت: يا رسول الله! ألا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذاً يتكلو. وأخبر بها معاذ عند موته.^(٣)

وقال علي بن أبي طالب: ألا رجل يسأل، فينفع جلساً؟
وقال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب.

قال ابن أبي مليكة: دخلنا على ابن عباس فقال: سلوني، فإني قد أصبحت طيبة نفسي، أخبرت أن الكوكب ذا الذنب قد طلع، فخشيت أن يكون الدخان وقال: الدجال قد طرق، وسلموني عن سورة البقرة وسورة يوسف.
وقال ابن عباس: ما سألكي رجل عن مسئلة إلا عرفت أفقيه هو أو غير فقيه.

(١) آخر جه مسلم (٤٤١٤).

(٢) آخر جه مسلم (١٣٣٧).

(٣) آخر جه البخاري (١٢٨) ومسلم (١٤٨).

وقال سعيد بن جبير: إن مما يهمني أنى وددت أن الناس قد أخذوا ما معى من العلم.

ورويانا عن الحسن أنه كان يبتدىء الناس بالعلم ويقول: سلوني.

وكان ابن سيرين وإبراهيم لا يبتدىئان أحداً [حتى] يسألـا.

قال قتادة: أتى على الحسن زمان وهو يعجب من يدعوه إلى نفسه،

قال: فما مات حتى دعا إلى نفسه.

وقال لقمان الحكيم: إن العالم يدعوا الناس إلى علمه بالصمت والوقار.

وعن سعيد بن زيد عن عكرمة قال: مالكم لا تسألوننا؟ أفلستم؟

قال هشام بن عروة: قال لي أبي: والله ما يسألني الناس عن شـئ

حتى لقد نسيـتـ. قال هشام: وكان أبي يقول لنا: إنا كـنا أصـاغـرـ قـومـ، ثمـ

نـحنـ الـيـوـمـ كـبـارـ قـوـمـ، وإنـكـمـ الـيـوـمـ أصـاغـرـ قـوـمـ، وـسـتـكـوـنـونـ كـبـارـ، فـتـعـلـمـواـ

الـعـلـمـ تـسـوـدـواـ بـهـ قـوـمـكـ وـيـحـتـاجـونـ إـلـيـكـ.

قال هشام: وكان أبي يدعونـي وـعـبـدـ اللهـ بنـ عـرـوـةـ وـعـثـمـانـ

وـإـسـمـاعـيلـ وـإـخـوـتـيـ وـأـخـرـ قـدـ سـمـاهـ هـشـامـ، فـيـقـولـ: لـاـ تـفـشـونـيـ مـعـ النـاسـ وـإـذـاـ

خـلـوتـ فـسـلـونـيـ، فـكـانـ يـحـدـثـنـاـ يـأـخـذـ فـىـ الطـلاقـ ثـمـ الـخـلـعـ ثـمـ الـحـجـ ثـمـ الـهـدـىـ

ثـمـ كـذـائـمـ يـقـولـ: كـرـواـ عـلـىـ، فـكـانـ يـعـجـبـ مـنـ حـفـظـيـ، قـالـ هـشـامـ: وـالـلـهـ

مـاتـعـلـمـنـاـ مـنـ جـزـءـ أـلـفـ جـزـءـ مـنـ أـحـادـيـثـ.

وعـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ مـهـدـىـ أـنـ زـائـدـةـ كـانـ يـخـرـجـ إـلـيـهـمـ، فـيـقـولـ:

اـكـتـبـواـ، اـكـتـبـواـ قـبـلـ أـنـ أـنـسـيـ.

وقـالـ سـفـيـانـ الثـوـرـيـ: وـالـلـهـ لـوـ لـمـ يـأـتـنـيـ لـأـتـيـتـهـ فـىـ بـيـوـتـهـ، يـعـنـىـ

أـصـحـابـ الـحـدـيـثـ.

وقـالـ رـبـيعـ بـنـ سـلـيـمـانـ: قـالـ لـىـ الشـافـعـيـ: يـاـ رـبـيعـ! لـوـ قـدـرـتـ أـنـ

أـطـعـمـكـ الـعـلـمـ لـأـطـعـمـكـ إـيـاهـ.

وقال الريبع: كان الشافعى رحمه الله يملأ علينا فى صحن المسجد، فلحقته الشمس، فمر به بعض إخوانه، فقال: يا أبا عبد الله! فى الشمس؟ فأنشأ الشافعى يقول:

أهين لهم نفسى لأكرمها بهم ولن تكرم النفس التى لا تهينها

وقال ابن عباس ﷺ: ذللت طالباً فعززت مطلوباً.

وقال سفيان: لو لم يأتوني لأتتهم، فقيل لسفيان: إنهم يطلبونه بغير نية، فقال إن طلبهم إيه نعمة.

باب منازل العلم

قال فضيل بن عياض: أول العلم الإنصات، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر.

وقال ابن المبارك: أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر.

وقال محمد بن النضر الحارثي: أول العلم الاستماع، قيل: ثم مازا؟ قال: الحفظ، قيل: ثم مازا؟ قال النشر.

وقال سفيان: أول العلم الاستماع، ثم الإنصات، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر.

باب

طرح العالم المحسنة على المتعلم

عن معاذ بن جبل قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: هل تدرى يا معاذ! ما حق الله على الناس؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. تدرى يا معاذ! ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الناس على الله أن لا يعذبهم، قال: قلت يا رسول الله! ألا أبشر الناس؟ قال: دعهم يعملون.^(١)

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل الرجل المسلم، حدثوني ما هي؟ قال عبد الله: فوق الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله! ما هي؟ قال: النخلة. قال عبدالله بن عمر: فحدثت عمر بن الخطاب بالذى وقع في نفسي، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلى من أن يكون لي كذا وكذا.^(٢)

وعن النعمان بن مرة أن رسول الله ﷺ قال: ماترون في الشراب والسارق والزاني؟ وذلك قبل أن ينزل فيهم، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: لا يتم رکوعها ولا سجودها.^(٣)

عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: ماترون في رجل يقع بامر أته وهو محرم؟ فلم يقل له القوم شيئاً، فقال سعيد: إن رجلاً وقع بامر أته وهو محرم وذكر الحديث.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (١٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦١) ومسلم (٧٠٩٨).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٤٠١) / ١٦٧ وعبد الرزاق في المصنف ٢/ ٣٧١.

وعن ابن شهاب أن سمع سعيد بن المسيب قال: ما صلاة يجلس في كل ركعة منها؟ ثم قال سعيد: هي المغرب إذا فاتتك منها ركعة، قال: وكذلك سنة الصلاة كلها.

قال المصنف رحمه الله : يعني إذا فاتتك منها ركعة أن تجلس مع إمامك في ثانية، وهي لك أولى، وهذه سنة الصلاة كلها إذا فاتتك منها ركعة.

وعن يحيى بن سعيد أن سعيد بن المسيب قال: ما ترون فيمن غلبه الدم من رعاف فلم ينقطع عنه؟ قال يحيى بن سعيد: ثم قال سعيد: أرى أن يومي برأسه أيامه.

باب

فتوى الصغير بين يدي الكبير بياذنه

عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال: قلت لمعاذ بن جبل: أرأيت قول الله "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ" [الحجرات: ١] فقال: شهد رسول الله ﷺ ودعا أبا بكر وعمر حين أراد أن يبعثني إلى اليمن، فقال أشيراً علىٰ فيما أخذ من اليمن، قالا: يا رسول الله! أليس قد نهى الله أن يتقدم بين يدي الله ورسوله؟ فكيف نقول وأنت حاضر؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا أمرتكم بالعلم تقدموا بين يدي الله ورسوله. قال عبد الرحمن بن غنم: قلت لمعاذ بن جبل: فلما كان يوم عرفة جله عدادة من الناس في الأمر لا بد منه، قال: إن شاء، قال: وإن شاء أمسك حتى يكتفي أصحابه بذلك أحب إلىٰ. ^(١)

قال المصنف: هذا حديث لا يحتاج بمثله لضعف إسناده، ولكنه حديث حسن نقله الناس، وذكرناه لتتفق على ذلك وترى.

وعن سالم بن عبد الله قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج أن لا تخالف عبد الله بن عمر في أمر الحج، فلما كان يوم عرفة جله عبد الله بن عمر حين زالت الشمس وأنا معه، فصاح عند سرادقة أين هذا؟ فخرج إليه الحجاج، وعليه ملحفة معرفة، فقال: مالك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: الرواح إن كنت ت يريد أن تصيب السنة اليوم، فقال: هذه الساعة؟ قال: نعم، قال: فأذن لي أنيض على ماء ثم أخرج إليك، فنزل عبد الله حتى خرج إليه الحجاج، فسار بيض وبين أبي، فقلت له: إن كنت ت يريد أن تصيب السنة فاقصر الخطبة واعجل الوقوف، قال: فجعل ينظر إلى عبد الله بن

(١) لم أقف علىٰ من رواه غير المصنف، والعلم عند الله.

عمر كيما يسمع ذلك منه، فلما رأى عبدالله ذلك قال: صدق.^(١)
 وعن حجاج بن عمرو بن غزية أنه كان جالسا عند زيد بن ثابت،
 فجاءه ابن فهد - رجل من اليمن - فقال: يا أبا سعيد! إن عندي جواري ليس
 نسائي اللائى أكثُر بِأعْجَبَ إِلَيْهِ مِنْهُنَّ، وليس كلهن يعجبني أن تحمل مني،
 أَفَأَعْزِلُ؟ فقال زيد: أفتَهُ يا حجاج! قال: قلت: غفر الله لك، إنما نجلس إليك
 لنتعلم منك، فقال: أفتَهُ، قال: قلت: هو حركتك، إن شئت سقيته، وإن شئت
 عطشته، وكنت أسمع ذلك من زيد بن ثابت. فقال زيد: صدق.^(٢)

(١) أخرجه البخاري (١٦٦٠).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ .٣٩/٢

باب جامع لنشر العلم

عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال لعلى: لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خيرا لك من حمر النعم.^(١)

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: مثل الذي يتعلم العلم ولا يحدث به كمثل الذي يكتنز الكنز ولا ينفق منه.^(٢)

وقال ابن عباس: مثل علم لا يظهره صاحبه كمثل كنز لا ينفق منه صاحبه.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : علم لا يقال به كنز لا ينفق منه.^(٣)

وقال على رضي الله عنه: لم يؤخذ على الجاهل عهد بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهد ببذل العلم للجهال، لأن العلم كان قبل الجهل به.

وقال ابن القاسم: كنا إذا ودعنا ما لا يقال لنا: اتقوا الله وانشروا هذا العلم، وعلمه و لا تكتشو.

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : من الصدقة أن يتعلم الرجل العلم فيعمل به ثم يعلمه.^(٤)

قال ابن شهاب: سمعت عبد الملك بن مروان خطيبا يوم الفطر قال: إن العلم يقبض قبضا سريعا، فمن كان عنده علم فلينشره غير خاف عنه ولا غالٍ فيه.

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٦٢٢٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٨٩) / ٢١٣ / ١، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧٤).

(٣) أخرجه ابن عساكر ٩ / ٢٢ بالنظر: علم لا يفad به، وأخرجه التضاعي في مسند الشهاب (٢٦٣) بالنظر: علم لا ينفع به. ورواه الدارمي ١ / ٤٨ عن سلمان موقفا.

(٤) أخرجه أبو حيثمة في العلم ١ / ٣٢.

وروي لنا عن عبد الرحمن بن مهدي قال: كان أنس بن مالك يقول: بلغنى أن العلماء يسألون يوم القيمة كما تسأل الأنبياء يعني عن تبليغه. وقال سليم بن عامر: كان أبو أمامة يحدثنا في كثير، ثم يقول: عقلتم؟ فنقول: نعم، فيقول: بلغوا عن فقد بلغناكم، يرى أن حقا عليه أن يحدث بكل ما سمع.

وعن معاذ الجهنى عن النبي ﷺ قال: من علم علمافله أجر ذلك ماعمل به عامل، لainقص من أجر العامل شيء.^(١)

وقال جعفر بن برقة: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فمر أهل الفقه والعلم من عندك فلينشروا ما علمهم الله في مجالسهم ومساجدهم، والسلام.

ويقال: ماصين العلم بمثل العمل به وبذله لأهله.

وقالوا: النار لاينقصها ما أخذ منها ولكن ينقصها ألا تجد حطبا وكذلك العلم لاينقصه الاقتباس منه، ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه. وروى عن علي أنه قال: من علم وعمل وعلم دعى في ملکوت السموات عظيمًا. وقد روى هذا من كلام المسيح ﷺ . أخذه بكر بن حماد، فقال:

إذا ما أمرت عملت يداه بعلمه نودي عظيمًا في السمع مسودا

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : ماتصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره.^(٢)

قال ابن شهاب: ما صبر أحد على العلم صبرى، ولا نشره أحد نجرى.

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٤٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩٦٤) وابن عدى في الكامل (٢٣١/٧) وابن عدى في الكامل (٣٢٢/٣) من حديث الحسن عن سيرة بسنده ضعيف.

وقال ابن عباس: معلم الخير يستغفر له كل شئ حتى الحوت في البحر.

وقال ابن مسعود في قول الله ﷺ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً

قَاتِلَتَا [الحل: ١٢٠] قال: الأمة المعلم للخير، والقانت المطين.

قال المصنف: وقد ذكرنا قول رسول الله ﷺ: نضر الله امرأ سمع

مقالتي - أو سمع منا حديثا - فوعاه ثم بلغه غيره، وذكرنا من فضل نشر العلم

كرامته كتمانه في كتابنا هذا في غير موضع منه ما أغنى عن إعادته هنا.

وقال سفيان بن عيينة في قول الله ﷺ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا

كُنْتَ [ميرم: ٣١] قال: معلماً للخير.

وكتب بعض الحكماء إلى أخ له: واعلم يا أخي أن إخفاء العلم هلاكة

وإخفاء العمل نجاة.

وسئل سهل بن عبد الله التستري رحمة الله: متى يجوز للعالم أن

يعلم الناس؟ قال: إذا عرف المحكمات من المتشابهات.

وقال محمد بن إسماعيل الصائغ:رأيت يزيد بن هارون في النوم

فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفرلي، قلت: بأى شئ؟ قال: بهذا الحديث الذي

نشرته في الناس.

باب جامع في أداب العالم والمتعلم

عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: علموا ويسروا، ولا تعسروا ثلثاً.^(١)
 وقال عطاء بن يسار: ما أورى شئ إلى شئ أزین من حلم إلى علم.
 وقال إبراهيم بن أدهم ومحمد بن عجلان: ما من شئ أشد على الشيطان من عالم حليم، إن تكلم بكلم بعلم، وإن سكت سكت بكلم، يقول الشيطان: انظروا إليه، كلامه أشد على من سكوتة.

وقال رجاء بن حيوة: يقال: ما أحسن الإسلام ويزينه الإيمان، وما أحسن الإيمان ويزينه التقوى، وما أحسن التقوى ويزينها العلم، وما أحسن العلم ويزينه الحلم، وما أحسن الحلم ويزينه الرفق.
 وكان يقال: لقاح المعرفة دراسة العلم.

وقال عبد الله بن مسعود لأصحابه: كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب، تعرفون في السماء وتخفون على أهل الأرض.

وقل أبو جحيفة: كان يقال: جالس الكبراء، وخالل العلماء، وخالف الحكماء.
 قال سفيان بن عيينة: قال عيسى بن مريم: جالسو من يذكركم بالله رويته، ومن يزيد في علمكم منطقه، ومن يرغبك في الآخرة عمله.

وقال عيسى بن حماد: كثيراً ما كنت أسمع الليث بن سعد يقول لأصحاب الحديث: تعلموا الحلم قبل العلم.

وقال ابن وهب: ما تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه.

وقال أبو حنيفة: الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إلى من

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٥٥٦/٢٨٣)، والبخاري في الأدب المفرد ٤٤٧.

كثير من الفقه، لأنها أذاب القوم وأخلاقهم.

وقال إبراهيم النخعي: كنا نأتي مسروقاً فنتعلم من هديه ودله.

وقال أبو الدرداء: من فقه الرجل مشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم.

وقال الشافعى: من حفظ القرآن عظمت حرمته، ومن طلب الفقه نبل

قدره، ومن عرف الحديث قويت حجته، ومن نظر في النحو رق طبعه، ومن
لم يحسن نفسه لم يحسن العلم.

وقال عمر مولى غفرة: لا يزال العالم عالماً مالم يجسر في الأمور

برأيه، ولم يستحب أن يعيش إلى من هو أعلم منه.

وقال الخليل بن أحمد: إذا أخطأ بحضرتك من تعلم أنه يأنف من

إرشادك فلا ترد عليه خطأه، لأنك إذا نبهته على خطأه أسرعت إفادته
واكتسبت عداوته.

وقال أبو الأسود الدؤلى: إذا أردت أن يكذبك الشيخ فلقنه.

قال شعبة: كل من سمعت منه حديثاً فأنا له عبد.

وقال الحسن: كان طالب العلم يرى ذلك في سمعه وبصره وتخشعه.

وقال عقبة بن مسلم: الحديث مع الرجل والرجلين والثلاثة، فإذا

عظمت الحلقة فأنصلت.

وقال وهب بن منبه: إن للعلم طفياناً كطفيان المال.

وقال الشعبي: صلى زيد بن ثابت على جنازة، ثم قربت له بغلة

ليركبها، ف جاء ابن عباس فأخذ بر kabah، فقال له زيد: خل عنه يا ابن عم

رسول الله ﷺ! فقال ابن عباس: هكذا يفعل بالعلماء والكبار.

وقال ميمون بن مهران: لا تمار عالماً ولا جاهلاً، فإنك إذا ما رأيت

عالماً خزن عنك علمه، وإن ماريت جاهلاً خشن صدرك.

قال الزهرى: كان أبو سلمة يمارى ابن عباس فحرم بذلك علمًا كثیراً.

قال المصنف: روينا من وجوه كثيرة عن أبي سلمة أنَّه قال:
لورفت بابن عباس لاستخرجت منه علمًا كثيراً.

وقال ابن جرير: لم أستخرج الذي استخرجت من عطاء إلا برفقى به.
وقال طاؤس: من السنة أن يوقر العالم.

وقال على بن أبي طالب: إن من حق العالم لا تكثر عليه
بالسؤال، ولا تعنته في الجواب، وأن لا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه
إذا نهض، ولا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تطلبن عشرته،
وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه الله مadam يحفظ أمراً
ولاتجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته.

قال يوسف بن هارون:

أجله في كل عين علمه فيرى له الإجلال كل جليل
وكذلك العلماء كالحافظ عند الناس في التعظيم والتجليل.
وقالت الحكمة: إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك
على أن تقول.

وقال الحسن بن علي لابنه: يا بني! إذا جالست العلماء فكن على أن
تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن
الصمت، ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يمسك.

وقال الشعبي رحمة الله: جالسو العلماء فإنكم إن أحسنتم حمداً لكم،
وإن أساءتم تأولوا لكم وعذروكم، وإن أخطأتم لم يعنفوكم، وإن جهلتم
علومكم، وإن شهدوا لكم نفعوكم.

فصل

قال الخليل بن أحمد: اجعل تعليمك دراسة لك، واجعل مناظرة العلم تبيها بما ليس عندك، وأكثر من العلم لتعلم، وأقل منه لحفظه.
وروى عنه أنه قال: أقلوا من الكتب لتعلموا، وأكثروا منها التعلموا.
ويقال: إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد لفن من العلم، وإن أردت أن تكون أديباً فخذ من كل شئ أحسن.

وقال غيره: من أراد أن يكون حافظاً نظر في فن واحد من العلم،
ومن أراد أن يكون عالماً أخذ من كل علم بنصيب.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: ما ناظرني رجل قط وكان مفتنا في العلوم إلا غلبته، ولا ناظرني رجل ذو فن واحد إلا غلبني في علمه ذلك.
وقال يحيى بن خالد بن برمك لابنه: يا بني ! خذ من كل علم بحظ وافر، فإنك إن لم تفعل جهلت، وإن جهلت شيئاً من العلم عاديت، وعزيز على أن تعادي شيئاً من العلم.

وقال مطر الوراق: مثل الذي يروي عن عالم واحد مثل الذي له امرأة واحدة.

وكان يقال: لا يكون الرجل عالماً حتى تكون فيه ثلاثة خصل: لا يحقر من دونه في العلم، ولا يحسد من فوقه في العلم، ولا يأخذ على علمه شيئاً.

وقال بلال بن أبي بردة: لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا.

وقال الخليل بن أحمد:

ينفعك علمي ولا يضررك تقسيري اعمل بعلمي وإن قصرت في علمي

فصل في الإنفاق في العلم

قال المصنف: من بركة العلم وأدابه الإنفاق فيه، ومن لم ينصرف
لم يفهم ولم يتفهم.

قال بعض العلماء: ليس معى من العلم إلا أنا أعلم أنى لست أعلم.

وقال محمود الوراق:

أتم الناس أعرفهم بنقصه وأقمعهم لشهوته وحرصه

عن عبد الله بن مصعب قال: قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في
مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذي العصبة، يعني يزيد بن
الحسين الحارثي، فمن زاد أقيمت زيادته في بيت المال، فقامت امرأة من
صف النساء طولية فيها فطس فقالت: ماذا لك؟ قال: ولم؟ قالت: لأن
الله تعالى يقول: **وَإِنْ أَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوهُ مِنْهَا شَيْئًا** [النساء: ٢٠]
فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ.^(١)

وعن محمد بن كعب القرظى قال: سأله رجل عليا عن مسئلة، فقال
فيها، فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين! ولكن كذلك، فقال
عليه: أصبت وأخطأت، **وَفَوْقَ كُلِّ ذَي عِلْمٍ عَلَيْهِمْ** [يوسف: ٢٦]
واختلف ابن عباس وزيد في الحائض تنفر، فقال زيد: لا تنفر
حتى يكون آخر عهدها الطواف بالبيت، فقال ابن عباس لزيد: سل نسياتك
أم سليمان وصويحباتها، فذهب زيد، فسألهن ثم جاء وهو يضحك، فقال:
القول ماقت.

وقال مالك بن أنس: ما في زماننا شيء أقل من الإنفاق.

وقال الأعرج: ما طلبنا هذا الأمر حق طلبه.

(١) أخرجه البيهقي ٢٣٣ / ٧ عن الشعبي.

قال مالك: وأدركت رجلاً يقولون: ما طلبناه إلا لأنفسنا،
وما طلبناه لنحتمل به أمور الناس.

قال مالك: لما حج أبو جعفر المنصور دعاني، فدخلت عليه
فحدثته، وسألني فأجبته، فقال: إني قد عزمت أن أمر بكتبه هذه التي
وضعتها يعني الموطأ، فنسخ نسخاً، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار
المسلمين منها نسخة، وأمرهم أن يعلموا بما فيها، لا يتعدوها إلى غيرها،
ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث، فإني رأيت أصل هذا العلم
رواية أهل المدينة وعلمهم، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! لا تفعل، فإن
الناس قد سبق إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل
قوم بما سبق إليهم، وعملوا به ودانوا به من اختلاف الناس أصحاب رسول
الله ﷺ وغيرهم، وإن ردهم بما اعتقادوه شديد، فدع الناس وما هم عليه وما
اختار كل بلد لأنفسهم، فقال: لعمري، لو طاوعنى على ذلك لأمرت به.
وهذا غاية في الإنصاف لمن فهم.

وقال ابن القاسم لمالك: ما أعلم أحداً أعلم بالبيوع من أهل مصر،
فقال له مالك: وبم ذلك؟ قال: بك، قال: فأنالاً لا أعرف البيوع، فكيف
يعرفونها بي؟

وقال خالد بن يزيد بن معاوية: عزت بجمع الكتب، فما أنا من
العلماء ولا من الجهل.

وقال الشعبي: ما رأيت مثلـي، ما أشدـ أن أرى أعلم منـي إلا وجدـه.
وقال غيره: علـنا أشيـلـ وجـلـنا أشـيلـ، فلا نـبـطـلـ ما عـلـمـناـ بما جـهـلـناـ.
وقال حمـادـ بنـ زـيدـ: سـئـلـ أـيـوبـ عـنـ شـئـ، فـقـالـ: لـمـ يـبـلـغـنـ فـيـهـ شـئـ،
فـقـيلـ لـهـ: قـلـ فـيـهـ بـرـأـيـكـ، فـقـالـ: لـاـ يـبـلـغـ رـأـيـ.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: ذاكرت عبد الله بن الحسين القاضي

بـ حدیث وهو يومئذ قاض، فخالفنى فيه، فدخلت عليه وعنده الناس سماطين، فقال لى: ذلك الحديث كما قلت أنت، وأرجع أنا صاغرا.

وقال الخليل بن أحمد: أياماً من أربعة: يوم أخرج فألقى فيه من أنا أعلم مني فأتعلم منه، كذلك يوم فائدى وغنىمتى، ويوم أخرج فألقى فيه من أنا أعلم منه، كذلك يوم أجرى، ويوم أخرج فألقى فيه من هو مثلى فأذاكره، كذلك يوم درسى، ويوم أخرج فألقى فيه من هو دونى وهو يرى أنه فوقى فلا أكلمه، وأجعله يوم راحتى.

وروى أن بزر جمهر أخذت امرأة بلجامه وهو خارج من عند كسرى، فقالت: أخبرنى عن ما يحيط الناس فيه من معاشهم أعلى قدر كيسهم أم بتقدير من خالقهم لهم؟ فقال لها: هذه مسألة قد اختلف فيها من مضى من سلفنا، فقالت له: فأنت على كثرة ما تأخذ من بيت المال تعنى بالجواب في هذه المسألة؟ فقال لها: إنما أخذ من بيت المال على قدر ما أحسن، ولو أخذت على قدر ما لا أحسن أنفذه سريعاً، فقالت له المرأة: أما إنك إذ عييت عن جواب هذه المسألة لقد أحسنت الحيلة في بقاء هذا الرزق عليك.

وقال غيره من الحكماء: لم أطلب العلم لأبلغ أقصاه، ولكن لأعلم مايسعني جهله.

وقال قاسم بن أصبغ: لما دخلت إلى المشرق نزلت القيروان فأخذت على بكر بن حماد حديث مسدد، ثم رحلت إلى بغداد ولقيت الناس، فلما انصرفت عدت إليه ل تمام حديث مسدد، فقرأت عليه فيه يوماً حديث النبي ﷺ أنه قدم قوم من مصر مجتابى الثمار، فقال لى: إنما هو مجتابى النمار، هكذا قرأت على كل من قرأت عليه بالأندلس وبالعراق، فقال لى: بدخولك العراق تعارضنا وتتجز علينا أو نحو هذا، ثم قال لى: قم بنا إلى

ذلك الشيخ - لشيخ كان بالمسجد - فإن له بمثل هذا علماء، فقمنا إليه وسألناه عن ذلك، فقال: إنما هو مجتامي النمار كما قلت، وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشقة جيوبهم أمامهم، والنمار جمع نمرة، فقال بكر بن حماد وأخذ أنفه: رغم أنفي للحق، وانصرف.

وقال مالك: المرأة يقسى القلب، ويورث الضغف.

فصل

عن ليث بن أبي سليم قال: قال لى طاؤس: ما تعلمت فتعلمه لنفسك،
فإن الأمانة والحياء قد ذهبا من الناس.

وقال مالك بن دينار: من طلب العلم لنفسه فقليل العلم، ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة.

وقالت امرأة للشعبي: أيها العالم! افتني، فقال: إنما العالم من خاف الله عزوجل.

وقال ابن عباس: ما أنت محدث قوماً حدثنا لا يبلغه عقولهم إلا كان بعضهم فتنه.

وعن هشام بن عمرو قال: قال لى أبي: ماحدثت أحداً بشع من العلم قط لا يبلغه علمه إلا كان ضلالاً عليه.

وقال أبو قلابة: لا تحدث بحديث من لا تعرفه، فإن من لا يعرفه يضره ولا ينفعه.

وقال ابن عباس: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله.

فصل

قال عمر بن الخطاب رض: تعلمو العلم وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا من تعلمتم منه ولو لم علمته، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم جهلكم بعلمكم.

وقال أبو مسلم: كان سفيان على المروءة، فنظر إلى أصحاب الحديث يعدون حين رأوه كأنهم مجانيين، فقال: مثلهم مثل أصحاب الجنائز لهم لذة في شيء لو أرادوا الله به لقاربوا الخطأ.

ويقال: أربعة لا يأنف منهن الشريف: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وقيامه على فرسه وإن كان له عبيد، وخدمته العالم ليأخذ من علمه.

ويقال: ارحموا عالما يجري عليه حكم جاهل.

ويرى أن بعض الأكاسرة كان إذا سخط على عالم سجنه مع جاهل في بيت واحد.

وعن جابر قال: قال رسول الله ص: ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافقون ذو الشيبة في الإسلام، والإمام المقطوع، ومعلم الخير.^(١)

وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: إن حقاً على من طلب العلم أن يكون له وقار وسکينة وخشية، وأن يكون متبعاً لآثار من مضى قبله.

وقال أبو الدرداء: من يزد علماً يزدد وجعاً.

وقال سفيان الثوري: لوم أعلم كان أقل لحزني.

وقال أبو الدرداء: إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرى الخير يعطيه، ومن يتوقى الشر يوقه، ثلاط من فعلهن لم يسكن الدرجات العليّ لا أقول الجنة: من تكهن، أو استقسم، أو رجع من سفره لطيرة.

(١) آخر جه الطبراني في الكبير ٢٠٢ من حديث أبي أمامة، والخطيب في تاريخ بغداد ٢٧٨ من حديث عمارة القرشى عن أبيه عن جده، ورواه أبو الشيخ في التوسيع عن جابر، قاله في كنز العمال (٤٣٨١١).

وقال الحسن: العالم على غير علم كالسالك على غير طريق،
والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبو العلم طلباً لا تضرروا
بالعبادة، واطلبو العبادة طلباً لاتضرروا بالعلم، فإن قوماً طلبو العبادة
وتركوا العلم حتى خرجو بأسيافهم على أمّة محمد ﷺ، ولو طلبو العلم
لم يدلّهم على ما فعلوا.

وعن الحسن قال: إن من أخلاق المؤمن قوة في الدين، وحزم في
لين، وإيمان في يقين، وحرص على علم، وشفقة في تفقة، وقصد في عبادة،
ورحمة للمجهود، وإعطاء للسائل، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن
يحب، في الزلازل وقور، وفي الرخاء شكور، قانع بالذى له، ينطق ليفهم،
ويُسكت ليسِم، ويقر بالحق قبل أن يشهد عليه.

وقال أبو حمزة الشمالي: دخلت على علي بن الحسين بن علي فقال:
يا أبا حمزة! ألا أقول لك صفة المؤمن والمنافق؟ قلت: بلى جعلني الله فداك،
قال: إن المؤمن خلط علمه بحلمه، يسأل ليعلم، وينصت ليسِم، لا يحدث
بالسر والأمانة إلا صدق، ولا يكتم الشهادة للعبد، ولا يحيف على الأعداء،
ولا يعمل شيئاً من الحق ريبة، ولا يدعه حيلة، فإذا ذكر بخير خاف ما يقولون،
واستغفر لما لا يعلمون، وإن المنافق ينهى ولا ينتهى، ويؤمر ولا يأتمر، إذا قام
إلى الصلاة اعترض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نقر، يمسى وهمت العشاء
ولم يصم، ويصبح وهمت النوم ولم يسهر.

فصل في فضل الصمت وحده

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: من صمت نجا.^(١)
وأنه قال ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو
ليسكت.^(٢)

قال يزيد بن حبيب: إن من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع، وقال: وفي الاستماع سلامه وزيادة في العلم، والمستمع شريك المتكلم، وفي الكلام توهن وتزين وزيادة ونقصان، قال: ومن العلماء من يرى أنه أحق بالكلام من غيره، ومنهم من يزدري المسلكين ولا يدرهم لذلك موضعًا، ومنهم من يخزن علمه ويرى أن تعليمه ضعوة، ومنهم من يحب أن لا يوجد العلم إلا عنده، ومنهم من يأخذ في علمه ما أخذ السلطان حتى يغضب أن يرد عليه شئ من قوله أو يغفل عن شئ من حقه، ومنهم من ينصب نفسه لفتيا فلعله يؤتى بأمر لا علم له به فيستحيي أن يقول لا علم لي فيرجم فيكتب من المتكلفين، ومنهم من يروي كل ما سمع حتى يروي كلام اليهود والنصارى إرادة أن يغزره علمه.

وقال: إن المتكلم لينتظر الفتنة، وإن المنصت لينتظر الرحمة.
وقالوا: فضل العقل على المنطق حكمة، وفضل المنطق على العقل هجنة.
وقالوا: لا يجترئ على الكلام إلا فائق أو مائق.

قال المصنف رحمه الله: الكلام بالخير غنية، وهو أفضل من السكوت، لأن أرفع ما في السكوت السلام، والكلام بالخير غنية، وقد قالوا: من تكلم بخير غنم، ومن سكت سلم، والكلام في العلم من أفضل

(١) أخرجه الترمذى (٢٥٠١) من حديث عبد الله بن عمرو، وقال: غريب. قال العراقي في تعریج الإحياء/٣٥٩: وهو عند الطبراني بسنده جيد.

(٢) أخرجه البخارى (٦٠١٨) ومسلم (١٧٣).

الأعمال، وهو يجري عندهم مجرى الذكر والتلاوة إذا أريد به نفي الجهل
ووجه الله ~~بكل~~ والوقوف على حقيقة المعانى.

قال قتادة: طوبى لعالم ناطق، أو لباغ مستمع.

وقال أبو الذيال: تعلم الصمت كما تتعلم الكلام، فإن يكن الكلام
يهديك فإن الصمت يقييك، ولك في الصمت خصلتان: خصلة تأخذ بها من علم
من هو أعلم منك، وتدفع بها جهل من هو أجهل منك.

وقال الحوطى: كان أبو الذيال يتكلم بالحكمة ولم أسمع منه غير
هذا في الصمت.

وقال أبو العتاهية:

من قال بالخير غنم
من طلب العلم علم

من لزم الصمت نجا
من صدق الله علا

فصل في رفع الصوت في المسجد وغير ذلك من أداب العلم

سئل مالك عن رفع الصوت في المسجد بالعلم وغيره؟ قال: لا خير في ذلك في العلم ولا في غيره، ولقد أدركت الناس قديماً يعيبون ذلك على من يكون في مجلسه، ومن كان يكون ذلك في مجلسه كان يعتذر منه، وأنا أكره ذلك ولا أرى فيه خيراً.

قال المصنف رحمه الله: أجاز ذلك قوم منهم أبو حنيفة.

قال سفيان بن عيينة: فررت بأبى حنيفة وهو مع أصحابه في المسجد، وقد ارتفعت أصواتهم، فقلت: يا أبا حنيفة! هذا في المسجد، والصوت لا ينبغي أن يرفع فيه!! فقال: دعهم فإنهم لا يفقهون إلا بهذا. وقيل لأبى حنيفة: في مسجد كذا حلقة يتناذرون في الفقه، فقال: أللهم رأس؟ قالوا: لا، قال: لا يفقهون أبداً.

قال المصنف رحمه الله: احتج بعض من أجاز رفع الصوت في المناظرة بالعلم وقال: لا بأس بذلك لحديث عبدالله بن عمرو قال: تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقنا الصلاة ونحن نتوهّأ ونمسح على أرجلنا، فنادي بأعلى صوته ويل للأعقاب من النار، مرتين أو ثلاثة. ذكره البخاري وغيره.^(١)

ووجب على العالم إذا لم يفهم أن يكرر كلامه ذلك حتى يفهم عنه، وقد كان بعضهم يستحب أن لا يكرره أكثر من ثلاثة مرات، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثة مرات.^(٢) وذلك عندهم كان ليفهم عنه كل من جالسه من قريب وبعيد، وهكذا يجب أن يكرر المحدث

(١) آخر جه البخاري (٦٠) ومسلم (٥٧٢).

(٢) آخر جه البخاري (٩٤) من حديث أنس.

حديثه حتى يفهم عنه أنه قال، وأما إذا فهم عنه فلا وجه للتكرير.
قال معمر: ما سمعت قتادة يقول لأحد قط: أعد على، وتكرير
الحاديـث فـى المـجلس يـذهب بـنوره، وقد كان ابن شهاب يقول: تكرير
الحاديـث أـشد عـلـى من نـقل الحـجـارة.

وقالت جارية لابن السمك الوعاظ له: ما أحسن حديثك إلا أنك تكرره،
فقال: أكرره ليفهمه كل من سمعه، فقلت: إلى أن يفهمه كل من سمعه يمله من فهمه.
ولا بأس أن يسأل العالم قائماً وماشياً في الأمر الخفيف، لحديث ابن
مسعود قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ في خرب المدينة وهو يتوكأ على
عصيب منه من بنفر من يهود خير، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح فقام
رجل منهم فقال: يا أبا القاسم! ما الروح؟ ونكر الحديث... أخرجه البخاري.^(١)

فصل

قال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما: يا بني! لا تعلم العلم
لثلاث خصال: لاترائي به، ولا تماري به، ولا تدعه لثلاث
خصال: رغبة في الجهل، وزيادة في العلم، واستحياء من التعلم.
وقد روى هذا المعنى أو نحوه عن لقمان الحكيم أنه خاطب ابنته به.
وقال علي بن أبي طالب ﷺ: تعلموا العلم، فإذا تعلتموه فاكظموا
عليه، ولا تخلطوه بضحك ولا بلعب فتنمجه القلوب، فإن العالم إذا ضحك
ضحكة مج من العلم مجة.

وقال: تعلموا العلم، وتزينوا معه بالوقار والحلم، وتواضعوا من
تعلموا منه ولمن تعلموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فيذهب باطلكم حكم.
قال المصنف: قد روى هذا المعنى بنحو هذا اللفظ عن النبي ﷺ،
وعن عمر بن الخطاب أيضا.

(١) رقم: ١٢٥، وأخرجه مسلم (٧٠٥٩) أيضاً.

فصل في مدح التواضع وذم العجب وطلب الرئاسة
 ومن أفضليات أداب العالم تواضعه، وترك الإعجاب بعلمه، ونبذ حب
 الرئاسة عنه.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة،
 فتواضعوا يرفعكم الله.^(١)

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ما نقصت صدقة من مال،
 وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.^(٢)
 وروينا من وجوه عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول: إن العبد إذا
 تواضع لله رفعه الله بحكمته، وقيل له: انتعش نعشك الله، فهو في نفسه
 حقير وفي أعين الناس كبير.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: إن الله يأمركم أن
 تتوضعوا، ولا يبغى بعضكم على بعض.^(٣)

وقال أليوب السختياني: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه
 تواضعاً لله.

وقالوا: المتواضع من طلاب العلم أكثر علماء المكان
 المنخفض أكثر البقاء ماء.

وقيل لبرزجمهر: ما النعمة التي لا يحسد عليها صاحبها؟ قال:
التواضع، قيل له: فما البلاء الذي لا يرحم عليه صاحبه؟ قال: العجب. وقال:

(١) أخرجه الأصفهانى فى الترغيب والترهيب، والدليل فى مستند الفردوس من حديث أنس بسنده ضعيف.
 قاله العراقي فى تحرير الإحياء ١٤٨/٣، وقال فى ٣٥/٢٣٥: رواه ابن عدى من حديث ابن عمر. وقال
 العجلونى فى كشف الغفاء ٩/٢: رواه ابن أبي الدنيا فى ذم الغضب عن محمد بن كثير العبدى.

(٢) أخرجه مسلم (٦٥٩٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٤) ببيان حسن، وأخرجه مسلم (٨٢٦٥) وغيره من حديث عياض بن
 حمار بلطفه: إن الله أوحى إلى...

التواضع مع السخافة والبخل أحمد من الكبر مع السخاء والأدب، فأعظم بحسنة عفت عن سينتين، وأفطع بعيوب أفسد من صاحبه حسنتين.

قال البحترى:

للأخلاء فهو عين الوضيع وإذا ما الشريف لم يتواضع

وقال وهب بن منبه: كان فى بنى اسرائيل رجال أحاديث الأسنان قد قرأوا الكتب وعلموا علماء، وإنهم طلبوا بقراءتهم وعلمهم الشرف والمال، وإنهم ابتدعوا بها أدركوا بها المال والشرف فضلوا وأضلوا.

وقال ابن عبادوس: كلما تقر العلم وارتفع كان العجب إليه أسرع إلا من عصمه الله بتوفيقه، وطرح حب الرياسة عن نفسه.

وقال كعب لرجل رأه تتبع الأحاديث: اتق الله، وارض بالدون من المجلس، ولا تؤذ أحداً، فإنه لوماً علمك ما بين السماء والأرض مع العجب ما زادك الله به إلا سفالاً ونقصاناً.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة مهلكات، وثلاث منجيات، فأما المهنكتات: فشح مطاع، وهو متبع، وإعجاب المرء بنفسه، والثلاث المنجيات: تقوى الله في السر والعلانية، وكلمة الحق في الرضا والسطح، والاقتصاد في الغنى والفقير.^(١)

وقال إبراهيم بن الأشعث: سألت الفضيل بن عياض عن التواضع، فقال: أن تخضع للحق وتتقادله معن سمعته، ولو كان أحهل الناس لزمه أن تقبله منه.

وقال مسروق: كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وابيهقي في الشعب /١، ٤٧١، وابونعيم في الحلية /٣٤٣، وحسنة الأبانى في صحيح الجامع (٣٠٣٩).

قال أبو الدرداء: علامة الجهل ثلاث: العجب، وكثرة المتنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شع ويأتيه.

وقالوا: العجب يهدم المحاسن.

وقال على عليه السلام: الإعجاب أفة الألباب.

وقال غيره: إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله.

ولقد أحسن على بن ثابت حيث يقول:

المال أفة التبذير والنهب والعلم أفة الإعجاب والغضب

وقالوا: من أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن خالط الأنداش حقر، ومن جالس العلماء وقر.

وقال الفضيل بن عياض: ما من أحد أحب للرياسة إلا حسد وبغي، وتتبع عيوب الناس، وكراه أن يذكر أحد بخير.

وقال أبو نعيم: والله ما هلك من هلك إلا بحب الرياسة.

وقال إسحاق بن خلف: والله الذي لا إله إلا هو، لإزالة الجبال الرواسى أيسر من إزالة الرياسة.

وقال الثورى: من أحب الرياسة فليعد رأسه للنطاح .

قال سفيان: كنت أتمنى الرياسة وأنا شاب، وأرى الرجل عند السارية يفتى فأغبطه، فلما بلغتها عرفتها.

وقال المأمون: من طلب الرياسة بالعلم صغيراً فاته علم كثير.

وروى عن علي أنه خرج يوماً من المسجد، فاتبعه الناس، فالتفت إليهم وقال: أى قلب يصلح على هذا؟ ثم قال: خفق النعال مفسدة لقلوب نوكي الرجال.

وقال عمر بن الخطاب: هي مفسدة للمتبوع مذلة للتتابع.

وقال مالك بن دينار: من تعلم العلم للعمل كسره، ومن تعلمه لغير العمل زاده فخراً.

فصل

قال المصنف رحمه الله : ومن أدب العالم ترك الدعوى لما لا يحسن، وترك الفخر بما يحسن، إلا أن يضطر إلى ذلك، كما اضطر يوسف عليه السلام حين قال: إجعلنِي على خَرَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظْتُ عَلَيْمَ [يوسف: ٥٥] وذلك أنه لم يكن بحضرته من يعرف حقه، فيثنى عليه بما هو فيه ويعطيه بقسطه، ورأى أن ذلك المقدار لا يتعديه غيره من أهل وقته إلا قصر عما يجب لله من القيام به من حقوقه، فلم يسعه إلا السعي في ظهور الحق بما مكنه، فإذا كان ذلك فجائز للعالم حينئذ الثناء على نفسه والتنبيه على موضعه، فيكون حينئذ يحدث بنعمة ربه عنده على وجه الشكر لها.

قال عمر بن الخطاب في حديث صدقات النبي ﷺ حين تنازع فيها العباس وعلى: والله لقد كنت فيها باراً تابعاً للحق صادقاً.^(١) ولم يكن ذلك منه تزكية لنفسه رضي الله عنه.

وأفضح ما يكون للمرء دعواه بما لا يقوم به، وقد عاب العلماء ذلك قدি�ماً وحديثاً، وقالوا فيه نظماً ونشراء، فمن ذلك قول أبي العباس الناشي:	من تحلى بغير ما هو فيه إذا حاول الدعاوى لما فيه ويحسب الذي ادعى ما ادعاه ومحل الفتى سيظهر في الناس
عاب في يديه ما يدعيه أضافوا إليه ما ليس فيه أنه عالم بما يعتديه وإن كان دائياً يخفى	عاب في يديه ما هو فيه إذا حاول الدعاوى لما فيه ويحسب الذي ادعى ما ادعاه ومحل الفتى سيظهر في الناس

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣٣) ومسلم (٤٥٧٧).

فصل

ورويانا عن أبي هارون العبدى وشهر بن حوشب قالا: كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدري يقول: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: ستفتح لكم الأرض، ويأتكم قوم - أو قال غلمان - حدثة أسنانهم، يطلبون العلم، ويتفقهون في الدين، ويتعلمون منكم، فإذا جاءكم فعلمونهم والطفوهم ووسعوا لهم في المجلس وأفهموهم... الحديث.^(١) فكان أبو سعيد يقول لنا: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ، أمرنا رسول الله ﷺ أن نوسع لكم في المجالس وأن نفهمكم الحديث.

ويروى عن علي بن أبي طالب أنه قال: من حق العالم عليك إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة، وتجلس قدامه، ولا تشر بيديك، ولا تغمز بعينيك، ولا تقل: قال فلان خلاف قوله، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه في السؤال، فإنه بمنزلة النخلة المرطبة لا يزال يسقط عليك منها شع. وقالوا: من تمام الله العالم أن يكون مهيباً وقوراً، بطع الالتفات قليل الإشارة، لا يصخب ولا يلعب، ولا يجفو ولا يلغو. وقد قيل: إن هذا لا يحتاج إليه مع أداء ما لله عليه.

وقالوا: الواجب على العالم أن لا يناظر جاهلاً ولا لجوجاً، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلم بغير شكر.

وقال أيوب بن القرية: أحق الناس بالإجلال ثلاثة: العلماء والإخوان والسلاطين، فمن استخف بالعلماء، أفسد مروءته، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه، والعاقل لا يستخف بأحد، قال: والعاقل الدين شريعته، والحلم طبيعته، والرأي الحسن سجيته.

قال المصنف: وأدب المناظرة يطول الكتاب بذكرها، وقد ألف قوم

(١) أخرجه الترمذى (٢٦٥٠) وابن ماجه (٢٤٧) وصححه الحاكم ١٦٤ ووافقه النهى.

في أدب الجدل وأدب المنازرة كتباً من طالعها وقف على المراد منها، وفيما نكرنا في هذا الباب عن السلف من جهة الآثار ما يغنى ويكتفى لمن وفق لفهمه.
قال أكثم بن صيفي: **وَيْلَ عَالَمٍ أَمْرٌ مِنْ جَاهِلٍ، مِنْ جَهَلٍ شَيْئًا عَادَاهُ،**
وَمِنْ أَحَبِّ شَيْئًا اسْتَعْبَدَهُ.

وقال غيره: **عِلْمٌ لَا يَعْبُرُ مَعَكَ وَادِي لَا تَعْمَرُ مَعَهُ نَادِي، إِذَا**
أَزْدَحَ الْجَوَابَ خَفِيَ الصَّوَابُ، اللَّغْطُ يَكُونُ مِنْهُ الْغَلْطُ، لَوْسَكَتْ مَنْ لَا
يَعْلَمُ سَقْطَ الْخِتَافَ.

وقال الخليل رحمه الله: **مَا سَمِعْتُ شَيْئًا إِلَّا كَتَبْتَهُ، وَلَا كَتَبْتَهُ إِلَّا**
حَفَظْتَهُ، وَمَا حَفَظْتَهُ إِلَّا نَفَعَنِي. من أكثر من مذاكرة العلماء لم ينس ما علم،
واستفاد ما لم يعلم.

أوصى يحيى بن خالد ابنه جعفر فقال: لا ترد على أحد جواباً حتى تفهم كلامه، فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكّد الجهل عليك،
ولكن أفهم عنه فإذا فهمته فأجبه، ولا تتعجل بالجواب قبل الاستفهام،
ولا تستحي أن تستفهم إذا لم تفهم، فإن الجواب قبل الفهم حمق، وإذا جهلت
فاسئل، فيبدو لك، واستفهمك أجمل بك وخير من السكوت على العي.

باب

ماروى فى قبض العلم وذهاب العلماء

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ول يكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساه، جهلاً، فسئلوا فأفتووا بغير علم، فضلوا وأضلوا.^(١)

وعن أنس قال: لأحدثكم بحديث لا يحدثكم به أحد بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، ويكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيمة الواحد.^(٢)

قال عبد الله بن مسعود: قرأوكم وعلماً كم يذهبون، وتتخذ الناس رؤساء، جهلاً، وذكر الحديث.

وقال: عليكم بالعمل قبل أن يقبض، وقبضه ذهاب أهله.

وقال ابن شهاب: بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا: الاعتصام بالسنن نجاة، والعلم يقبض قبضاً سريعاً، فنعش العلم بنات الدين والدنيا، وذهب ذلك كله في ذهاب العلم.

وعن عوف بن مالك الأشجعى أنه قال: بینا نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم إذ نظر إلى السماء، فقال: هذا أوان يرفع العلم، فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد: يرفع عنا يا رسول الله! وفيينا كتاب الله وقد علمناه أبنائنا ونسائنا؟ فقال رسول الله ﷺ: إن كنت

(١) أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٦٧٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨١) ومسلم (٦٧٨٦).

لأحسبك من أفقه أهل المدينة، وذكر له ضلاله أهل الكتاب وعندهم ما عندهم من كتاب الله. فلقي جبیر بن نفیر شداد بن اوس بالمصلی، فحدثه هذا الحديث عن عوف بن مالک، فقال: مصدق عوف، ثم قال شداد: هل تدری مارفع العلم؟ قال: قلت: لا أدری، قال: ذهاب أوعيته، هل تدری أى العلم يرفع؟ قال: قلت: لا أدری، قال: الخشوع حتى لا يرى خاشعا.^(١)

قال الحسن: موت العالم ثلعة في الإسلام، لا يسدها شئ ما طرد الليل والنهار.

وقال ابن سيرين: ذهب العلم، فلم يبق إلا غبرات في أوعية سوء.

وسأل هلال بن خباب سعيد بن جبیر: ما علامة الساعة و هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم.

وكان كعب يقول: واعلموا أن الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يرتفع، ورفعه أن تذهب رواته.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الفرائض وعلموها الناس، فإني أمرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض، وتظهر الفتنة، حتى يختلف الآثنان في الفريضة لا يجدان أحداً يفصل بينهما.^(٢)

وعن عطاء بن أبي رياح في قول الله ﷺ: أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَاتَى الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا [الرعد: ٤١] قال: ذهاب فقهائها وخيار أهلها.

وقال ابن عباس لما مات زيد بن ثابت: من سره أن ينظر كيف ذهاب العلم فهذا ذهابه.

وقال دراج: يأتي على الناس زمان يسمى الرجل راحلته حتى تعفو

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٤٤٩٠) / ٦ - ٢٧، وصححه الحاكم / ١٧٩ - ١٧٨، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الحاكم / ٤ - ٣٦٩، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه الترمذى (٢٠٩١) وأبي ماجة (٢٧١٩) من حديث أبي هريرة مختصرأ.

شحماً، ثم يسير عليها في الأقصار حتى تصير نقضاً، يلتمس من يقتيه بسنة قد عمل بها، فلا يجد إلا من يقتيه بالظن.

وروى عن ابن عباس أنه كان يقول: لا يزال عالم يموت وأثر للحق يدرس حتى يكثر أهل الجهل، وقدذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضللون عن سوء السبيل.

وعن كثير بن زياد في تفسير الحديث "لا يزداد الأمر إلا شدة" قال: ذهاب العلماء. وهذا الحديث مروي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدباراً ولا الناس إلا شحراً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدى إلا عيسى بن مريم.^(١)

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: سيأتي على أمتي زمان يكثر القراء، ويقل الفقهاء، ويقبض العلم، ويكثر الهرج، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل بينكم، ثم يأتي بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتي لا يجاوز تراقيهم، ثم يأتي من بعد ذلك زمان يجادل المنافق الكافر المشرك بمثل ما يقول.^(٢)

وقال أبو الدرداء: مالى أرى علماءكم يذهبون وجها لكم لا يتعلمون، تعلموا قبل أن يرفع العلم، فإن رفع العلم ذهاب العلماء، مالى أراكם تحرصون على ما قد توكل لكم به، وتدعون ما وكل لكم به! لأننا بشراركم أبصار من البياطرة بالخيل، هم الذين لا يأتون الصلاة إلا دبراً، ولا يسمعون القرآن إلا هجراً.

وقال حذيفة: إن القرن الأول من هذه الأمة على منهاج من لا يفهم، والقرن الثاني يظهر فيه الحيف والأثرة، والقرن الثالث يظهر فيهم الفساد

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٩) والحاكم ٤ / ٤٨٨.

(٢) أخرجه الحاكم ٤ / ٥٠٤ وصححه ووافقه الذهبي.

وسفك الدماء، والقرن الرابع ينتقلون عن دينهم حتى يكون أعز كل قبيلة
فاسقهم ومنافقهم، وأذله عالهم.

ورويانا عن تمام بن نجيع قال: كنت جالساً عند محمد بن سيرين
إذ جاءه رجل فقال: إني رأيت الليلة أن طائراً نزل من السماء على ياسمينة،
ففتح منها، ثم طار حتى دخل في السماء، فقال ابن سيرين: هذا قبض
العلماء، قال تمام: فلم تمض تلك السنة حتى مات الحسن وابن سيرين
ومكحول وستة من العلماء بالأفاق، ماتوا تلك السنة.

باب

حال العلم إذا كان عند الفساق والأرذال

عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول الله! متى يترك الأمرا
بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل
قبلكم، قيل: وماذاك يا رسول الله؟ قال: إذا ظهر الادهان في خياركم،
والفاحشة في شراركم، وتحول الملك في صغاركم، والفقه في أرذالكم.^(١)
وعن أبي أمية الجمحي أن رسول الله ﷺ قال: إن من أشراط
الساعة ثلاثة: إداهن أن يلتمس العلم عند الأصغر.^(٢) قيل لابن المبارك:
من الأصغر؟ قال: الذين يقولون برأيهم، فأما صغير يروى عن كبير
فليس بصغر.

ونذكر أبو عبيد في تأويل هذا الخبر عن ابن المبارك أنه كان
يذهب بالأصغر إلى أهل البدع، ولا يذهب إلى السن. قال أبو عبيد: وهذا
وجه. قال أبو عبيد: والذي أرى أنا في الأصغر أن يؤخذ العلم عن كبار
بعد أصحاب رسول الله ﷺ، ويقدم ذلك على رأى أصحاب رسول الله ﷺ
وعلمهم، فذاك أخذ العلم عن الأصغر.

عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: البركة مع أكابركم.^(٣)
وكان عمر يقول: ألا إن أصدق القيل قيل الله، وأحسن الهدى هدى
محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، ألا إن الناس لن يزالوا
بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم.

وقال أيضاً: قد علمت متى صلاح الناس ومتى فسادهم، إذا جاء

(١) آخر جه الإمام أحمد (١٢٩٧٣) / ٣ / ١٨٣ وابن ماجه (٤٠١٥).

(٢) آخر جه ابن المبارك في الرهد ٢١ والطبراني في الكبير ٢٢ / ٣٦١، وصححه الألباني في الصحيحتين (٦٩٥).

(٣) آخر جه الحاكم ١ / ١٣١، وصححه على شرط البخاري، ووافقه التهوي.

الفقه من قبل الصغير استعنى عليه الكبير، وإذا جاه الفقه من قبل الكبير
تابعه الصغير فاختىدا.

قال عبد الله بن مسعود: لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن
أكابرهم، فإذا أخذوه من أصغرهم وشرارهم هلكوا.

قال المصنف: قد تقدم من تفسير ابن المبارك وأبي عبيد لمعنى
الأصغر في هذا الباب مارأيت.

وقال بعض أهل العلم: إن الصغير المذكور في حديث عمر وما كان
مثله من الأحاديث إنما يراد به الذي يستفتني ولا علم عنده، وأن الكبير هو
العالم في أي سن كان. وقالوا: الجاهل صغير وإن كان شيخا، والعالم
كبير وإن كان حدثاً، واستشهدوا بقول الأول:

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل ولأن كبير القوم لا علم عنده	صغير إذا التفت إليه المحافظ
---	-----------------------------

واستشهدوا بأن عبد الله بن عباس كان يستفتني وهو صغير، وأن
معاذ بن جبل وعتاب بن أبي سيد كانوا يفتنيان الناس وهو صغيرا السن،
وولا هما رسول الله ﷺ الولايات مع صغر سنهما، ومثل هذا في العلماء كثير.
ويحتمل أن يكون معنى الحديث على ما قال ابن المعتمر: عالم الشباب
محقر، وجاهله معذور، والله أعلم بما أراده. وقال آخرون: إنما معنى
حديث عمر وابن مسعود في ذلك أن العلم إذا لم يكن عن الصحابة كما جاه
في حديث ابن مسعود، ولا كان له أصل في القرآن والسنة والإجماع،
 فهو علم يهلك به صاحبه، ولا يكون حاملا إماما ولا أمينا ولا مرضيا كما قال
ابن مسعود. وإلى هذا نزع أبو عبيدة رحمه الله. ونحوه ماجه عن الشعبي:
ما حدثوك عن أصحاب محمد فشد عليه يديك، وما حدثوك به من رأيهم

فَيُبْلِغُ عَلَيْهِ. وَمُثْلُهُ أَيْضًا قَوْلُ الْأَوْزَاعِيِّ: الْعِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ،
وَمَا لَمْ يَجِدْ عَنْ وَاحِدٍ مِّنْهُمْ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ.

وَقَدْ يَحْتَمِلُ حَدِيثُ هَذَا الْبَابُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَحَقَ النَّاسِ بِالْعِلْمِ
وَالْتَّفَقَ أَهْلُ الْشَّرْفِ وَالدِّينِ وَالْجَاهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ إِذَا كَانَ عِنْدَهُمْ لَمْ تَأْلِفْ
النُّفُوسَ مِنَ الْجَلْوَسِ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ وَجَدَ الشَّيْطَانَ إِلَى
احْتِقَارِهِمُ السَّبِيلُ، وَأَوْقَعَ فِي نُفُوسِهِمْ أَثْرَةَ الرَّضَا بِالْجَهَلِ أَنْفَةً مِنْ
الْاِخْتِلَافِ إِلَى مَنْ لَا حَسْبَ لَهُ لَا دِينَ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ
وَعِلْمَاتِهَا وَمِنْ أَسْبَابِ رَفْعِ الْعِلْمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيِّ الْأَمْرِ أَرَادَ عَمَرَ بِقُولِهِ،
فَقِدْسَادُ بِالْعِلْمِ قَدِيمًا الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَرَفَعَ اللَّهُ درَجَاتَ مَنْ أَحَبَّ.

وَمَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ الْأَصَاغَرَ مَا لَا عِلْمَ عِنْدَهُ مَا ذُكِرَهُ عَبْدُ الرَّزَاقُ
وَغَيْرُهُ عَنِ الزَّهْرَى قَالَ: كَانَ مَجْلِسُ عِرْمَةَ مُفْتَصِّا مِنَ الْقَرَاءِ شَبَابًا وَكَهْوَلًا،
فَرِبِّمَا اسْتَشَارُهُمْ وَيَقُولُ: لَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ حَدَاثَةَ سَنَةٍ أَنْ يَشِيرَ بِرَأْيِهِ، فَإِنَّ
الْعِلْمَ لَيْسَ عَلَى حَدَاثَةِ السَّنَةِ وَقَدْمَهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَضْعِفُ حَيْثُ يَشَاءُ.

قَالَ مَكْحُولٌ: تَفْقِهُ الرَّعَاعَ فَسَادُ الدِّينِ، وَتَفْقِهُ السَّفَلَةُ فَسَادُ الدُّنْيَا.
قَالَ الْفَرِيَابِيُّ: كَانَ سَفِيَانُ إِذَا رَأَى هُؤُلَاءِ النَّبِطِ يَكْتَبُونَ الْعِلْمَ
يَتَغَيِّرُ وَجْهُهُ، فَقَلَّتْ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! نَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَ هُؤُلَاءِ يَكْتَبُونَ الْعِلْمَ
يَشْتَدُّ عَلَيْكُمْ؟ فَقَالَ: كَانَ الْعِلْمُ فِي الْعَرَبِ وَفِي سَادَاتِ النَّاسِ، فَإِذَا خَرَجَ عَنْهُمْ
وَصَارَ إِلَى هُؤُلَاءِ - يَعْنِي النَّبِطِ وَالسَّفَلَةِ - غَيْرُ الدِّينِ.

بَابِ

ذُكْرِ استعَاذَةِ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَسُؤَالِهِ الْعِلْمِ النَّافِعِ

عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ودعا لا يسمع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ومن الجوع فإنه بئس الضجيع.^(١)

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من الأربع: من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع.^(٢)

وعن جابر أن النبي ﷺ قال: سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع.^(٣)

وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أصبح: اللهم إني أسئلك علمًا نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً.^(٤)

وقال أبو الدرداء: إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة عالم لا ينتفع بعلمه.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن من أشد الناس عذاباً يوم القيمة عالماً لا ينفعه الله بعلمه.^(٥)

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٣٠٣٤) والنسائي (٥٤٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٤٨) والنسائي (٥٤٦٩) وصححه الحاكم ١٨٥١، ووافقة النهي، وأخرجه مسلم (١٩٠٦) من حديث زيد بن أرقم، والترمذى (٣٤٨٢) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠٥٦) ٢٩٤/٦ وابن ماجه (٩٢٥).

(٥) أخرجه الطبراني في الصغير ٣٠٥ والبيهقي في الشعب ٢٨٤/٢ والقضاعي في مستند الشهاب ٢٢٢ بسند ضعيف. قال المناوى في فيض القدير ١/٦٦٢: لكن للحديث أصل أصيل، فقد روى الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس مرفوعاً: إن من أشد الناس عذاباً يوم القيمة من قتل نبياً، أو قله نبياً، والمصوروون، وعالم لا ينتفع بعلمه.

دروينا عن سلمان الفارسي أنه قال: إن العلم لا ينفع، فاتبع منه ما ينفعك.

ويقال: من لم ينفعه قليل علمه ضرره كثیره.

وقال أبو هريرة: مثل علم لا ينفع كمثل كنز لا ينفق في سبيل الله.

وقال ابن المبارك:

حسبى بعلمى إن نفع	ما الذل إلا فى الطمع
من راقب الله رجع	عن سوء ما كان صنع
ما طار شئ فارتفع	إلا كما طار وقع

وسأل عبدالله بن سلام كعباً، فقال: ما ينفي العلم عن صدور العلماء
بعد أن يعلمه؟ قال: الطمع.

وكان مكحول يقول: اللهم انفعنا بالعلم، وزينا بالحلم، وجملنا بالعافية.

وقال سفيان بن عيينة: ليس شئ أَنْفَعَ مِنْ عِلْمٍ يُنْفَعُ، وَلَا يَسْأَرُ
أَضَرَّ مِنْ عِلْمٍ لَا يُنْفَعُ.

وقال علي بن أبي طالب رض: إنما زهد الناس في طلب العلم ما يرون
من قلة الانتفاع من علم بما علم.

باب

ذم العالم على مداخلة السلطان الظالم

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: من سكن البدية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتن.^(١)

وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ : يكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر فقد برع، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتتابع فأبعده الله، قيل: يا رسول الله! أفلأ نقتلهم؟ قال: لا، ما صلوا.^(٢)

قال أبو حازم: إن العلماء كانوا يفرون من السلطان ويطلبهم، وإنهم اليوم يأتون أبواب السلطان والسلطان يفر منهم.

وقال أبوا السختياني: قال لـ أبي قلابة: يا أبا أبوا! احفظ عنك ثلات خصال: إياك وأبواب السلطان، وإياك ومجالسة أصحاب الأهواء، والزم سوقك، فإن الغنى من العافية.

وقال سفيان: في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوارون للملوك.

وقال محمود الوراق:

<p>زمرا إلى باب الخليفة ليبلغوا الرتب الشريفة من الحال اللطيفة بما تحوى الصحيفه بالظلم والسير العنيفة بتعسف الطرق المخوفه</p>	<p>ركبو المراكب واغتدروا وصلوا البكور إلى الرواح حتى إذا ظفروا بما طلبوا وغدا الموالى منهم فرحا وتغسلا من تحتهم خانوا الخليفة عهده</p>
---	--

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٥٩) والترمذى (٢٢٥٦) وناسى (٤٣١٤) وقال الترمذى: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٠٠).

واشتروا باباً من جيفه	باعوا الأمانة بالخيانة
ث إلى قياس أبي حنيفة	متفقٌ جمع الحدبة
اء بلحية فوق الوظيفه	فأتأك يصلاح للقضـ
شفته دنياه الشغوفه	لم ينتفع بالعلم إذ
الدنيا بأسباب ضعفه	نسى الإله ولاذ في

وعن حذيفة قال: إيلكم ومواقف الفتنة، قيل: وما مواقف الفتنة؟ يا أبا عبد الله! قال: أبواب الأماء، يدخل أحدكم على الأمير، فيصدقه بالكذب ويقول له ماليس فيه.

**وقال ابن مسعود: إن على أبواب السلاطين فتناكم بار الإبل،
والذى نفسى بيده لا يصيبون من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينكم مثله - أو
قال مثليه.**

وقال وهب بن منبه: إن جمع المال وغشيان السلطان لا يبقيان من حسنات المرأة إلا كما يبقى ذئبان جائعن ضاريان سقطاً في حظار فيه غنم فباتاً يجوسان حتى أصبحا.

وَهُذَا الْمَعْنَى قَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَا ذَبَّانَ جَائِعَانَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ حَظِيرَةً غَنْمًا بِأَفْسَدِ لَهَا مِنْ حُبِّ الْمَالِ وَالشَّرْفِ لِدِينِ الرَّءُوفِ.^(١) أَوْ نَحْوُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وروى عبد الرزاق عن أبيه قال: قلت لوهب بن منبه: كنت ترى الرؤيا فتخبرناها، فلا نلبيث أن نراها كما وصفت؟ قال: ذهب ذلك عنى مذ وليت القضاء. قال عبد الرزاق: حدثت معمراً بهذا الحديث، فقال: والحسن مذولي القضاء لم يحمدوا فهمه.

(١) أخرجه الترمذى (٢٣٧٦) من حديث كعب بن مالك، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال سفيان الثوري: كان خيار الناس وأشرافهم والمنتظر إليهم في الدين الذين يقومون إلى هؤلاء، فلما أمرتهم وينهونهم يعني الأمراء، وكان آخرون يلزمون ببيوتهم ليس عندهم ذلك، فكانوا لا ينتفع بهم ولا يذكرون، ثم بقينا حتى صار الذين يأتونهم فلما أمرتهم شرار الناس، والذين لزموا بيوتهم ولم يأت توهם خيار الناس.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: صنفان من أمتى إذا صلحا صلحت الأمة، وإذا فسدا فسدت الأمة: السلطان والعلماء.^(١)
 قال المصنف رحمة الله: هنا - والله أعلم - قال الفضيل: لو أن لي دعوة مجابة لجعلتها في الإمام.

وقال عمر بن الخطاب: اعلموا أنه لا يزال الناس مستقمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: العلماء أمناء الرسول على عباد الله مالم يخالفوا السلطان - يعني في الظلم - فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل، فاحذروهم واعتنوا بهم.^(٢)

وقال قتادة: العلماء كالملح، إذا فسده الشعور صلح بالملح، وإذا فسد الملح لم يصلح بشيء.

وقيل للأعمش: يا أبا محمد! أحبيت العلم بكثرة من يأخذه عنك، فقال: لاتعجبوا، فإن ثلثا منهم يموتون قبل أن يدركوا، وثلثا يلزمون السلطان، فهم شر من الموتى، ومن الثالث الثالث قليل من يفلح.

وقال: شر الأمراء أبعدهم من العلماء، وشر العلماء أقربهم من الأمراء.

(١) آخر جه تمام في الفوائد ١٩٦ / ٢ وأبو نعيم في الحلية ٤ / ٩٦ بحسب ضعيف.

(٢) آخر جه القضاوى في مسند الشهاب ١ / ١٠٠، وقال ابن الجوزى: موضوع. قال السيوطى: قوله موضوع من نوع، وله شولهد فوق الأربعين، فتحكم له عن مقتضى صناعة الحديث بالحسن. ذكره المناوى في الفيض ٤ / ٥٣.

وقال محمد بن سحنون: كان لبعض أهل العلم أخ يأتى القاضى والوالى بالليل يسلم عليهما، فبلغه ذلك، فكتب إليه: أما بعد، فإن الذى يراك بالليل يراك بالنهار، وهذا آخر كتاب أكتب به إليك. قال محمد: فقرأته على سحنون، فأعجبه وقال: ما أسمجه بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه، فلا يوجد فيه، فيسأل عنه، فيقال: إنه عند الأمير. وقال سحنون: إذا أتى الرجل مجلس القاضى ثلاثة أيام بلا حاجة فينبغي أن لا تقبل شهادته.

قال المصنف رحمة الله: معنى هذا الباب كله فى السلطان الجائر الفاسق، فاما العدل منهم الفاضل فمداخلته ورؤيته وعونه على الصلاح من أفضل أعمال البر. ألا ترى أن عمر بن عبد العزىز إنما كان يصحبه جلة العلماء مثل عروة بن الزبير وطبقته وأبن شهاب وطبقته، وقد كان ابن شهاب يدخل إلى السلطان عبد الملك وبنيه بعده، وكان من يدخل إلى السلطان الشعبي وقبصحة وأبن ذئيب ورجله بن حية الكندي وأبو المقدام - وكان فاضلا عالما - والحسن وأبو الزناد ومالك بن أنس والأوزاعي والشافعى وجماعة يطول ذكرهم. وإذا حضر العالم عند السلطان غبا فيما فيه الحاجة وقال خيرا ونطق بعلم كان حسنا، وكان فى ذلك رضوان الله إلى يوم يلاقاه، ولكنها مجالس الفتنة فيها أغلب، والسلامة منها ترك ما فيها.

وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: العلم لواحد من ثلاثة: لذى حسب يزيشه به، أو لذى دين يسوس به دينه، أو لمن يختلط بالسلطان ويدخل إليه يتحفه بعلمه وينفعه به، قال: ولا أعلم أحدا جمع هذه الخلال إلا عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزىز، فكلا هما جمع الحبيب والدين ومخالطة السلطان.

وقال رسول الله ﷺ: سبعة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عدل.^(١) فبدأ به، وقال: المقطوعون على منابر من نور يوم القيمة.^(٢) وقال: الإمام العادل لا ترد دعوته.^(٣) ومثل هذا كثير.

وقال يحيى بن أبي كثیر: كتب عمر بن عبد العزیز إلى عماله أن أجر واعلى طلبة العلم الرزق، وفرغوه للطلب. فهذا ومثله سيرة الإمام العادل. وبالله التوفيق.

وقيل لمالك: إنك تدخل على السلطان وهو يظلمون ويجررون؟
فقال: يرحمك الله، فأين الكلام بالحق؟!

قال الحسين بن علي: لما حج هارون وقدم المدينة بعث إلى مالك بكيس فيه خمسة دينار، فلما قضى نسكه وانصرف وقدم المدينة بعث إلى مالك أن أمير المؤمنين يحب أن تنتقل معه إلى مدينة السلام، فقال للرسول: قل له: إن الكيس بخاتمه، وقال رسول الله ﷺ: والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.^(٤)

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٢١).

(٣) أخرجه الترمذى (٢٥٢٦) بلفظ: ثلاثة لا يرد دعوتهم: الإمام العادل... الحديث.

(٤) أخرجه البخاري (١٧٧٦) ومسلم (١٣٨٨).

باب

ذم الفاجر من العلماء

وذم طلب العلم للمباهاة وطلب الدنيا

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولاتتماروا به السفهاء، ولا لتحقمازوابه المجالس، فمن فعل ذلك فالنار ^(١). وهذا الوعيد لمن لم يرد بعلمه شيئاً من الخير، والله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

وقال عبد الله بن مسعود: لو أن أهل العلم صانوا علمهم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلك لأهل الدنيا ينالوا به من دنياهم فهانوا على أهلهما. سمعت نبيكم ﷺ يقول: من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم آخرته، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها وقع ^(٢).

ومن جماعة من أهل العراق يوماً على أبي ذر، فسألوه يحدثهم، فقال لهم: تعلمون أن هذه الأحاديث التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا يتعلّمها أحد يريد بها عرض الدنيا - أو قال: لا يريد بها إلا عرض الدنيا - فيجد عرف الجنة أبداً، قال عبد الله بن المبارك: عرفها ريحها.

قال أبو إدريس الخوارزمي: من يبتغى العلم - أو قال: الأحاديث - ليحدث بها م يجد ريح الجنة.

وقال مكحول: من طلب الحديث ليماري به السفهاء أو ليباها به العلماء أو ليصرف به وجوه الناس فهو في النار.

(١) آخرجه ابن ماجه (٢٥٤) والحاكم / ١٦١.

(٢) آخرجه ابن ماجه (٢٥٧).

وقال يزيد بن فودر: يوشك أن

فِي تَغَيِّرٍ وَمِنْ كُلِّ فَسَاقٍ إِلَّا عَلَى النِّسَاءِ

وقال أَيُوب السَّخْتَانِي: قَالَ أَ

فأحدث له عبادة، ولا يكن هك أن تحدث

وقال عبد الله بن مسعود: كيف

الصغير، ويهرم الكبير، وتتخذه

منها شع قيدا،

ندع الحليم منهم حيرانا.^(١)

لَيْ بَعْضُ الْكِتَبِ نَعْتَ قَوْمٍ يَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ،
 يَلْبَسُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، يَلْبَسُونَ جَلْوَدَ
 فَبِنِي يَقْتَرُونَ وَإِيَّاهُ يَخَادِعُونَ، فَبِنِي حَلْفَتَ
 حِرَانَا.

فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ: ابْنُ آدَمَ ! عَلَّمَ

فضل على غيره من العلوم، ولو لا ذلك كان كسائر الأشياء.

وقال حماد بن سلمة: من طلب الحديث لغير الله مكر به.

وقال مسعر: من أراد الحديث للناس فليجتهد، فإن بلائهم شديد، ومن أراده لنفسه فقد اكتفى. وكان شعبة حاضراً، فقال: هذا والله ينفي أن يكتب.

وقال ليث: قال لى طاوس: ما تعلمت فتعلمه لنفسك، فإن الأمانة والصدق قد ذهبا من الناس.

وقال إبراهيم اليتمى: من طلب العلم الله يعذّب أتاه الله منه ما يكفيه.

وقال سفيان الثورى: زينوا العلم ولا تزينوا به.

وعنه قال: زينوا الحديث بأنفسكم، ولا تزينوا بالحديث.

وقال: إنما يتعلم العلم ليتقى به الله، وإنما فضل العلم على غيره لأنّه يتقوى به الله.

قال ابن المبارك: كان يقال: تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر والعالم الجاهل، فإن فتنتما فتنة لكل مفتون.

وقال الأوزاعي رحمة الله: شكت النواويس إلى الله يعذّب ماتجد من نتن الكفار، فأوحى الله إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنت فيه.

وقال فضيل بن عياض وأسد بن الفرات: بلغنا أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيمة قبل عبادة الأوّلانيّات. قال فضيل ابن عياض: لأن من علم ليس كمن لم يعلم.

وقال الحسن: عقوبة العالم موت القلب، قيل له: وما موت القلب؟ قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة.

وقال بعض الصالحين: اللهم إني أشكوا إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع.

وقال الحسن: من أفرط في حب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه،

ومن ازداد علمًا مزداد على الدنيا حرصاً مزيد من الله إلا بغضنا، ولم يزدد من الدنيا إلا بعداً.

روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: من طلب العلم لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار.^(١) وعن هـ أنه سُئل عن شر الناس، فقال: العلماء إذا فسدوا.^(٢)

وهذه الأحاديث وإن لم يكن لها أسانيد قوية فإنها قد جاءت كما ترى، والقول فيها كما قال ابن عمر في نحو هذا: عش ولا تفتر.
وقال جعفر بن محمد: إذا رأيتم العالم محبًا لدينه فاتهموه على دينكم، فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب.

وروى أن الله ع أوصى إلى داود: يا داود! لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا، فيصدقك عن طريق محبيه، فإن أولئك قطاع طريق عبادى، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أزعج حلاوة المناجاة من قلوبهم.
وقال الشعبي: يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار، فيقولون لهم: ما أدخلكم النار؟ وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمه.
قالوا: إننا كنا نأمركم بالخير ولأنفعه.

وعن أبي هريرة قال: إن في جهنم أرحاء تدور بعلماء السوء، فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم في الدنيا، فيقول: ما صيركم في هذا وإنما كنا نتعلم منكم؟ قالوا: إننا كنا نأمركم بالأمر ونخالكم إلى غيره.

قال المصنف رحمة الله: قد ذم الله في كتابه قوماً كانوا يأمرون الناس بأعمال البر ولا يعملون بها ذمة، ويخهم الله بها توبيخاً يتلى على طول الدهر إلى يوم القيمة فقال: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ

(١) آخر جزء الترمذى (٢٦٥٥) وأiben ماجه (٢٥٨) وقال الترمذى: حديث حسن غريب.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وقد أخرج النسائي / ١١٦ عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأله رجل هـ عن الشر، فقال: لا إن الشر شرار العلماء، وإن خير العuir خيار العلماء.

وَأَنْتُمْ تَتَلَوَّنَ الْكِتَبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. [البقرة: ٤٤]

وقال أبو العتاهية:

يا واعظ الناس قد أصبحت متها
إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها

وقال عبد الله بن عروة بن الزبيـر: أشكوا إلى الله عيـبي ما لا أترك،
ونعـتي ما لا أـتـي.

وقال: إنما يبكي بالدين للدنيـا

وقال جنـدـبـ بنـ عـبدـ اللهـ الـبـجـلـىـ: إـنـ مـثـلـ الـذـىـ يـعـظـ النـاسـ
وينـسـىـ نـفـسـهـ كـالـمـصـبـاحـ يـحـرـقـ نـفـسـهـ وـيـضـعـ لـغـيرـهـ.

وروى عن أبي جعـفرـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـىـ فـىـ قـوـلـ اللـهـ فـكـبـيـرـاـ فـيـهـاـ
هـمـ وـالـفـاقـرـ [٩٤ـ الشـعـرـاءـ]

وقـالـ أـبـنـ مـسـعـودـ إـنـ لـأـحـسـبـ أـنـ الرـجـلـ يـنـسـىـ الـعـلـمـ قـدـ عـلـمـهـ
بـالـذـنـبـ يـعـلـمـهـ.

هـلـ لـنـفـسـكـ كـانـ ذـاـ التـعـلـيمـ
فـإـذـاـ اـنـتـهـتـ عـنـهـ فـأـنـتـ حـكـيمـ
بـالـعـلـمـ مـنـكـ وـيـسـنـعـ التـعـلـيمـ
كـيـمـاـ يـصـحـ بـهـ وـأـنـتـ سـقـيمـ
نـصـحاـ وـأـنـتـ مـنـ الرـشـادـ عـدـيمـ
عـارـ عـلـيـكـ إـذـاـ فـعـلـتـ عـظـيمـ

يـأـيـهـاـ الرـجـلـ المـعـلـمـ غـيرـهـ
أـبـدـأـ بـنـفـسـكـ فـانـهـاـ عـنـ غـيـرـهـ
فـهـنـاكـ يـقـبـلـ مـاـ تـقـولـ وـيـقـتـدـىـ
تـصـفـ الدـوـلـةـ لـذـىـ السـقـامـ مـنـ الضـنـاـ
وـأـرـاكـ تـلـقـعـ بـالـرـشـادـ عـقـولـنـاـ
لـاتـنـهـ عـنـ خـلـقـ وـتـأـتـىـ مـثـلـهـ

وـعـنـ أـبـيـ أـمـامـةـ عـنـ النـبـيـ ﷺـ قـالـ: اـتـقـواـ فـرـاسـةـ الـمـؤـمـنـ، فـإـنـ يـنـتـظرـ
بـنـورـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ. ^(١) يـرـيدـ الـعـالـمـ الـفـاضـلـ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ.

(١) أـسـرـجـهـ الطـبـرـانـيـ فـيـ الـكـبـيرـ ٨/١٠٢ـ وـالـأـوـسـطـ ٣١٢ـ، وـالـعـطـيبـ فـيـ تـارـيـخـ بـنـدـادـهـ ٩٩ـ، وـأـبـوـ نـعـيمـ
فـيـ الـحـلـيـةـ ٦/١١٨ـ. قـالـ الـهـيـشـيـ فـيـ مـحـمـعـ الزـوـالـ ١/٤٧٣ـ: إـسـنـادـ الـطـبـرـانـيـ حـسـنـ. قـلـتـ: أـمـاـ الـمـتنـ
فـقـدـ أـخـرـجـهـ التـرمـذـيـ (٣١٢٧ـ) مـنـ حـدـيـثـ أـبـيـ سـعـيدـ الـعـدـريـ.

باب

ما جاء في مسألة الله يخل الأعلماء، يوم القيمة عما عملوا فيما علموا

قال عبد الله بن مسعود: والله ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه ﷺ كما يخلوا أحدكم بالقمر ليلة البدر - أو قال للليلة - ثم يقول: يا ابن آدم! ما غرك بي؟ ابن آدم! ما غرك بي؟ ما عملت فيما علمت يا ابن آدم! ماذا أجبت المرسلين؟

وقال أبو الدرداء: إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي قد علمت، فماذا عملت فيما علمت؟

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أول الناس يقضى فيه يوم القيمة ثلاثة: رجل استشهد في سبيل الله، فأتى به ربه، فعرفه نعمه، فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت حتى قلت، قال: كذبت، ولكن قاتلت ليقال: هو جريء، وقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به، فعرفه نعمه، فعرفها، فقال: فما علمت فيها؟ قال: تعلمتك في العلم وعلمته، وقرأت القرآن، قال: كذبت، ولكن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل أوسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتى به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ماتركت من سبيل تحب أن أنفق فيها إلا أنفقت فيها، قال: كذبت، ولكن ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.^(١)

وهذا الحديث فيمن لم يرد بعلمه ولا عمله وجه الله، وقد قيل في

(١) آخر حديث مسلم (٤٩٢٣).

الرياء: إن الشرك الأصغر ولا يزكي معه عمل. عصمنا الله برحمته.
قال محمود: لما حضرت شداد بن أوس الوفاة قال: أخوف ما
أخاف على هذه الأمة الرياء والشهوة الخفية.

وقال سفيان بن عيينة: الشهوة الخفية الذي يحب أن يحمد على البر.
وروى عن النبي ﷺ أنه قال: لا تزول قدمًا العبد يوم القيمة حتى
يسأل عن خمس خصال: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن
ماله من أين اكتسبه، وأين أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه.^(١)
وعن أبي الدرداء، أنه قال: إنما أخاف أن يقال لي يوم القيمة:
أعلمت أو جهلت؟ فأقول: علمت، فلاتبقى آية من كتاب الله ﷺ أمرة أو
زاجرة إلا جائتني تسألني فريضتها، فتسألني الأمراة: هل انتصرت؟
والزاجرة: هل ازدجرت؟ فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن نفس لا تشبع،
ومن دعاء لا يسمع.

قال سفيان الثوري: وددت أنني قرأت القرآن ثم وقفت.
وقال: وددت أنني أفلت من هذا الأمر لا لى ولا على، وقال:
وما أدركت أحداً أرضاه إلا قال ذلك.

وعن أبي الزاهري قال: بلغنى أن في بعض الكتب أن الله يقول:
أبى العلم في آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة، والحر والعبد،
والصغير والكبير، فإذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقى عليهم.

(١) أخرجه الترمذى (٢٤١٧) من حديث أبي بزرة الأسلمى، وقال جديث حسن صحيح.

باب

جامع القول في العمل بالعلم

عن ركب المصري قال: قال رسول الله ﷺ: طوبي لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه في غير مسكنة، وأنفق مالا جمعه في غير معصية، وخلط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة، طوبي لمن طاب نسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبي لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله.^(١)

وقال أبو الدرداء: ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات.

وقال بعض الحكماء: لو لا العقل لم يكن عمل، ولأن أدع الحق جهلا به خير من أدعه زهدا فيه.

وقالوا: من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل، وأشد منه عذاباً من أقبل عليه العلم فأدباه عنه، ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به.

وقالوا: قالت الحكمة: ابن آدم! إن التمسكني وجئتني في حرفين، تعلم بخير ما تعلم، وتدع شر ما تعلم.

وعن عبد العزيز بن ظبيان قال: قال عيسى عليه السلام: من علم وعمل وعلم بذلك يدعى عظيما في ملوك السموات. أخذه بكر بن حماد فقال:

نودي عظيما في السماء مباركا
إذا أمرؤ عملت يداه بعلمه

ويقال: إن في الإنجيل مكتوبا: لاتطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعلموا

(١) أخرجه البخاري في التاريخ / ٣٣٨ والطبراني في الكبير / ٤٦١ (٧١) وابيهقي في السنن / ٤: ١٨٢ وصحيفه النبوي والحافظ ابن حجر وغيرهما، وحسنه ابن عبد البر. قال الحافظ في الإصابة / ٢: ٤٩٨: مراد ابن عبد البر بأنه حسن لفظه. وكذا قال العجلوني في كشف الغفا / ٢: ٥٩.

بما علمت.

وقال عيسى عليه السلام للحواريين: نحن أقول لكم إن قائل الحكمة وسامعها شريكان، وأولاً هما بهما من حقها بعله، يا بنى إسرائيل ! ما يغنى عن الأعمى معه نور الشمس وهو لا يبصرها، وما يغنى عن العالم كثرة العلم وهو لا يعلم به.

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم: قال الله عز وجل: أذْغُونِي أَشْتَرِبْ لَكُمْ [المومن: ٦٠] فما لنا ندعوا فلا يستجاب لنا؟ فقال إبراهيم: من أجل خمسة أشياء، قال: وما هي ؟ قال: عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، وقرأتם القرآن فلم تعملوا بما فيه، وقلتم نحب الرسول وتركتم سنته، وقلتم نلعن إبليس وأطعتموه، والخامسة: تركتم عيوبكم وأخذتم في عيوب الناس.

وقال عبد الله بن مسعود: إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعلها، وإن العالم من يخشى الله، وتلا: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمُؤُا. [الفاطر: ٢٨]

وقال الحسن البصري: يبعث الله لهذا العلم أقواماً يطلبونه، ولا يطلبونه حسبة، وليس لهم فيه نية، يبعثهم الله في طلبه كيلاً يضيع العلم حتى لا يبقى عليه حجة.

وقال عمر لكتاب: ما يذهب العلم من قلوب العلماء، بعد أن حفظوه ووعواه؟ فقال: يذهب الطمع وتطلب الحاجات إلى الناس.

وقال أبي بن كعب: تعلموا العلم واعملوا به، ولا تتعلموا لتجملوا به، فإنه يوشك إن طال بكم زمان أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه.

وقال معاذ بن جبل: اعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعلموا.

وقال عبد الله بن مسعود: إن الناس أحسنوا القول كلهم، فمن وافق

فعله قوله بذلك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ بنفسه.
وقال القاسم بن محمد: أدركت الناس وما يعجبهم القول، إنما يعجبهم العمل.

وقال المؤمن: نحن إلى أن نوعظ بالأعمال أحوج من أن نوعظ بالأقوال.

وقال علي عليه السلام: يا حملة العلم! اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تختلف سريرتهم علانيتهم، ويختلف عملهم علمهم، يقعدون حلقاً في باهت بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغصب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى.

وقال أبو الدرداء: لا تكون تقىاً حتى تكون عالماً، ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملأً.

قال المصنف: من قول أبي الدرداء هذا - والله أعلم - أخذ القائل قوله: كيف هو يتقى ولا يدري ما يتقي.

قال سفيان: ماعملت عملاً أخوف عندي من الحديث.

وقال: ولو ددت أنني قرأت القرآن، وفرضت الفرائض، ثم كنت من عرض أبي ثور.

وقال: وددت أنها قطعت من ههنا، ولم أرو الحديث.

وعن مكحول في قول الله تعالى "وَاجْعَلْنَا لِلنَّعْمَانِ إِمَاماً" [الفرقان: ٧٤] قال: أئمة في التقوى تقتدى بنا المتقون.

وقال الثوري: العلماء إذا علموا عملاً، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا.

وقال بشر بن الحارث: إنما أنت متلذذ تسمع وتحكى، إنما يراد من

العلم العمل، اسمع وتعلم، واعلم وعلم واهرب، ألم تر إلى سفيان كيف طلب العلم؟ فعلم وعلم وهرب، وهكذا العلم إنما يدل على الهرب عن الدنيا ليس على طلبه.

قال الحسن: لا ينتفع بالموعظة من تمر على أذنيه صفحًا كما أن المطر إذا وقع في أرض سبخة لم تنبت.
وأنشد ابن عائشة:

إذا قسا القلب لم تنفعه موعظة
والقطر تحياب الأرض التي قطحت
كالأرض إن سبخت لم يحييها المطر
والقلب فيه إذا مalan مزدجر
وقال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب.
وقال الأصمى: سمعت أعرابيا يقول: إذا دخلت الموعظة أذن
الجاهل مرقت من الأذن الأخرى.

وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل زلت موعيته عن
القلوب كما ينزل القطر عن الصفا.
وكان سوار يقول: كلام القلب يقرع القلب، وكلام اللسان يمر على
القلب صفحًا.

وقال زياد بن أبي سفيان: إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب
وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الأذان.
وقال سلمان الفارسي: يوشك أن يظهر العلم، ويختزن العمل،
يتواصل الناس بأسنتهم، ويتقاطعون بقلوبهم، فإذا فعلوا ذلك طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وأبصرهم.

وقال بعض الحكماء: إذا كانت حياتي حياة السفه وموتي موت
الجاهل فما يغنى عنِّي ما جمعت من غرائب الحكمة.

وقال الحسن بن أدم: ما يغنى عنك ما جمعت من حكمة الحكماء
وأنت تجري في العمل مجرى السفهاء.

وقال عبد الملك بن إدريس الحزيري الوزير الكاتب:

والعلم ليس بنافع أربابه	مالم يفدي عملًا وحسن تبصر
سيان عندي علم من لم يستفاد	عملًا به وصلاًة من لم يظهر
فأعامل بعلمك توف نفسك وزن المخسر	لاترض بالتضييع وزن المخسر

قال عبد الله بن مسعود: تعلّموا تعلّموا، فإذا علمتم فاعملوا.

وقال الحسن: الذي يفوق الناس في العلم جدير أن يفوقهم في العمل.

وقال فضيل بن عياض: قال لـ ابن المبارك: أكثركم علمًا ينبعى أن يكون أكثركم خوفا.

وقال بعض الحكماء: ما هذا الاغترار مع ما نرى من الاعتبار؟

وعن الحسن في قوله ﴿وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا أَبْنَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] قال: عُلِّمْتُمْ فعلمتم ولم تعلموا، فهو الله ما ذلكم بعلم.

وقال سفيان الثوري: يهتف العلم بالعمل فإن أجبه وإن ارتحل.

وقال عبد الله بن مسعود: ما استغنى أحد بالله إلا احتاج إليه الناس، وما عمل أحد بما علمه الله إلا احتاج الناس إلى ما عنده.

وقال إبراهيم النخعي: من تعلم علمًا يريد به وجه الله والدار الآخرة أتاه الله من العلم ما يحتاج إليه.

ويروي أن عيسى عليه السلام قال للحواريين: لست أعلمكم لتعجبو، إنما أعلمكم لتعلمها، ليست الحكمة القول بها، إنما الحكمة العمل بها.

وقال أيوب السختياني: قال لـ أبو قلابة: يا أبا أيوب! إذا أحدث الله لك علمًا فأحدث له عبادة، ولا يكن هكذا أن تحدث به.

وعن مالك بن مغول في قوله تعالى "فَنَبْذُوهُ وَرَأَهُ ظُهُورِهِمْ" [آل عمران: ١٨٧] قال: تركوا العمل به.

وقال الحسن: إن أشد الناس حسرة يوم القيمة رجال: رجل نظر إلى ماله في ميزان غيره سعد به وشقى هو به، ورجل نظر إلى علمه في ميزان غيره سعد به وشقى هو به.

وقال الشعبي: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين على طلبه بالصوم.

وقال مالك: إن حقاً على من طلب الحديث أن يكون له وقار وسکينة وخشية، وأن يكون متبعاً لآثار من مضى قبله.

وقال: من إزالة العلم أن يكلم العالم كل من يسأله ويجيبه.

باب

قال سفيان الثوري: العالم طبيب هذه الأمة، والمال داؤها، فإذا كان الطبيب يجر الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره.

قال المصنف رحمة الله: المال المذموم عند أهل العلم هو المطلوب من غير وجهه، والمأخذ من غير حله، والأثار الواردة بذم المال نحو قول رسول الله ﷺ: الدينار والدرهم أهلكمان كان قبلكم وإنهما مهلكاكم.^(١) ونحو قوله عليه الصلاة والسلام: ما ذئبان جائعن أرسلان في حظيرة غنم بأفسد لها من حب المرء للمال والشرف.^(٢) وما كان في معناه من حديثه ﷺ، ونحو قول عمر بن الخطاب: ما فتح الله الدينار والدرهم أو الذهب والفضة على قوم إلا سفكوا دمائهم وقطعوا أرحامهم، ونحو هذا مما روى عنه وعن غيره من السلف في هذا المعنى، فوجه ذلك كله عند أهل العلم والفهم في المال المكتسب من الوجوه التي حرمتها الله ولم يبحها، وفي كل مال مالم يطبع الله جامعه في كسبه، وعمى ربه من أجله وبسببه، واستعلن به على معصية الله غضبه، ولم يؤد حق الله وفرائضه فيه ومنه، فذلك هو المال المذموم والمكسب المشئوم. وأما إذا كان المال مكتسبا من وجه ما أباح الله، وتآدت منه حقوقه، وتقرب فيه إليه بالإنفاق في سبيله ومرضاته، فذلك المال محمود، ممدوح كاسبه ومنقه، لا خلاف بين العلماء في ذلك، ولا يخالف فيه إلا من جهل أمر الله، وقد أثني الله على إنفاق المال في غير أية، ومحال أن ينفق ما لا يكتسب، قال الله ﷺ: **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُنْتَجِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَا وَلَا آنَّى... الْآيَة** [البرة: ٢٦٢] وقال: **يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ**

(١) أخرجه ابن حبان ٢٧٩٤ والطبراني في الأوسط ٢٩٤ من حديث أبي موسى الأشعري. قال البيهقي في مجمع الروايد ١٠١٠/٤٢٨: إسناده حسن.

(٢) أخرجه الترمذى (٢٣٧٦) من حديث كعب بن مالك، وقال: حديث حسن صحيح.

بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلَانِيَةً [البقرة: ٢٧٤] وقال: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ [الحاديـد: ١٠] وقال: الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ... الْآيَة [الأنفال: ٧٢] وقال: لَئِنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ [آل عمران: ٩٢] وقال: يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَّا وَيُبَرِّي الصَّدَقَاتِ [البقرة: ٢٧٦] وقال: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ... الْآيَة [الحاديـد: ١١] وما في القرآن من هذا المعنى كثير جداً، وكذلك السنن الصحاح كلها تتطابق بهذا المعنى، وهو الثابت عن الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين. قال ﷺ: كل معروف صدقة.^(١) وقال: اليد العليا خير من اليد السفلية.^(٢) واليد العليا المعطية والسفلى السائلة.

وقال لسعد بن أبي وقاص: لأن تدع ورثتك أغنية خير من أن تدعهم عالة يتکفرون الناس، وإنك لن تنفق نفقة إلا أجرت فيها... الحديث.^(٣) وقال ﷺ: أفضل درهم درهم تنفقه على عيالك.^(٤) والأثار في هذا متواترة جداً.

وقال ﷺ لعمرو بن العاص هل لك أن أرسلك في جيش يغنمك الله ويسلمك؟ وأرغب لك من المال رغبة صلحة، فنعم المال صالح للرجل صالح.^(٥) وقال أبو بكر الصديق لعائشة رضي الله عنها: ما أحد من خلق الله أحب إلى إلهي غني بعدي منك، ولا أعز على فقر بعدي منك. وكان رسول الله ﷺ يدخل ما أفاء الله عليه من صفاتياه من فدك وغيرها قوت سنة، ويجعل الباقى في الكراع والسلاح في سبيل الله.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٩) من حديث جابر، ومسلم (٢٣٢٨) من حديث حذيفة.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٩) ومسلم (٢٣٨٥) من حديث ابن عمر. والتفسير مروى في مستند الإمام أحمد (٥٧٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٥) ومسلم (٤٢٠٩) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣١٠) وغيره من حديث ثوبان بلفظ: أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٧٩١٥) / ٤ - ١٩٧.

وعن حكيم بن قيس بن عاصم أن أباه حين حضرته الوفاة قال لبنيه:
يا بني! عليكم بالمال واصطناعه، فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم.
عن مجاهد عن امرأة من نساء عبد الرحمن بن عوف أنها أصابها
في ربع الثمن نيف وثمانون ألفاً.

وقال ابن سيرين: كان من ترك الصامت عبد الرحمن بن عوف،
وكان من لم يدع صامتنا أبو بكر وعمر.
وقال كعب: كان للزبير ألف مملوك يؤدون الخراج، لم يكن يدخل
بيته منها درهماً.

وعن نافع أن ابن العمر باع ميراثه من ابن عمر بمائة ألف درهم.
وقال قرة بن خالد: سألنا الحسن: أوصى عمر بن الخطاب بثلث
ما له أربعين ألفاً؟ قال: لا والله، لمalah كان أيسر من أن يكون ثلثه أربعين
الافاً. ولكنه لعله أوصى بأربعين ألفاً فأجازوها.

وعن زر قال: مات عبد الله بن مسعود، وترك سبعين ألف درهم.
وقال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يجمع المال، يكف به
وجهه، ويؤدي أمانته.

وعن يحيى بن سعيد أن سعيد بن المسيب ترك أربع مائة دينار.
وقال: إنني والله ما تركتها إلا لأصون بها عرضي - أو وجهي - .
وقال أبو قلابة: لا تضركم دنيا إذا شكرتموها الله. قال أليوب:
وكان أبو قلابة يقول لى: يا أبا أليوب! إلزم سوقك، فإن الغنى من العافية.
وعن أبي طبيان الأزدي قال: قال لى عمر بن الخطاب: مالك يا
أبا طبيان؟ قال: أنا في ألفين وخمس مائة. قال: فاتخذه سائماً، فإنه
يوشك أن يجيء أغيلمة من قريش يمنعون هذا العطا.

وعن ابن هبيرة أن عبد الله بن عمر ركب الغابة، فمر على ابن هبيرة

وهو في بيته، فقال: ألا ترکب معنا؟ فركبت معه حملة، فسرناه، قال: فسكت أحدث نفسى، قال عبد الله بن عمر: ملك؟ قلت: سكت أتمنى، قال ابن عمر: لو كان عندي أحد نهباً أعلم عدده وأخرج زكاته ما كرهت ذلك - أو ما خشيت أن يضرني -. وقال يوسف بن أسباط: قال لى سفيان الثورى: لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبنى الله عليها أحب إلى من أن أحتج إلى الناس.

وقال سعيد بن الجهم الجيزى: جمع عبد الرحمن بن شريح وعمرو ابن الحارث الصف فى المسجد، فلما سلم الإمام قال ابن شريح لعمرو بن الحارث: يا أبو أمية ! ماتقول فى رجل ورث مالا حلالا فأراد أن يخرج من جميعه إلى الله زهدا فى الدنيا ورغبة فيما عنده؟ قال: لا يفعل، قال ابن شريح: فقلت لعمرو: سبحان الله ! لا يفعل، لا يزهد فى الدنيا؟ فقال عمرو ابن الحارث: ما أدب الله به نبيه ﷺ أفضل من ذلك، قال الله تبارك وتعالى: **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدْ مُلْوَمًا مَخْسُورًا** [الإسراء: ٢٩] ولكن يقدم بعضاً ويمسك ببعضاً.

قال المصنف رحمة الله: هذه الآثار كلها إنما أوردناها هنا لبيان ظان جاهل بما يقرأ فى هذا الباب أن طلب المال من وجهه للكفاف والاستغناء عن الناس من طلب الدنيا المكرورة المنوع منه، فإنه ليس كذلك، رحم الله أبا الدرداء حيث يقول: من فقه الرجل المسلم استصلاحه معيشته.

وقال أبو الدرداء أيضاً: صلاح المعيشة من صلاح الدين، وصلاح الدين من صلاح العقل. وقال: ليس من حبك الدنيا التماسك بما يصلحك منها.

وكان يقول: من فقهك عو يمر^(١) إصلاحك معيشتك.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: يا معاشر القراء! استبقوا الخيرات، وابتغوا من فضل الله، ولا تكونوا عيالا على الناس.

(١) عَوْيَرْ: اسم أبي الدرداء.

[باب فضل القناعة والرضا بالكافاف]

قال منصور الفقيه: إن الزهد في الحلال وترك الدنيا مع القدرة عليها أفضل من الرغبة في حلالها، وهذا مالا خلاف فيه بين علماء المسلمين قد يما وحديثن، وقد اختلف الناس في حدود الزهد والعبرة عنه بما يطول ذكره، وأحسن ما قيل فيه قول ابن شهاب: الزهد في الدنيا أن لا يغلب الحرام صبرك ولا الحلال شكرك.

وكان سفيان الثوري ومالك بن أنس يقولان: الزهد في الدنيا قصر الأمل.

وقال إبراهيم بن الأشعث: سألت فضيل بن عياض عن الزهد، فقال: الزهد القناعة وفيها الغنى، قال: وسألته عن الورع، فقال: اجتناب المحارم. والأثار عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين في فضل الصبر عن الدنيا والزهد فيها، وفضل القناعة والرضا بالكافاف، والاقتصار على ما يكفي دون التكاثر الذي يلهم ويطغى، أكثر من إن يحيط بها كتاب أو يشتمل عليها باب، والذين زوى الله عنهم الدنيا من الصحابة أكثر من الذين فتحها عليهم أضعافا مضاعفة.

روينا عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله عزوجل ليحمي عبده الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه الطعام يشتته. ^(١) وهذا - والله أعلم - نظر منه ﷺ لذلك العبد، فرب رجل كان الغنى سبب فسقه وعصيانه لربه وانتهاكه لحرمه، ورب رجل كان الفقر سبب ذلك كله له، وربما كان سبب كفره وتعطيل فرائضه، وهو طرفان مذمومان عند العلماء. وقد روى عن النبي ﷺ ما يدل على ذلك من قوله ﷺ: اللهم إني أعوذ بك من غنى مبطر مطغ، وفقر

(١) أخرجه الترمذى (٢٠٣٦) وحسنه، وصححه الحاكم ٤ / ٢٣٠ ووافقه النهبي.

منس.^(١) وكان **ﷺ** يقول: اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنك بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة.^(٢)

وكان من دعائه **ﷺ**: اللهم إني أعوذ بك من الفقر والفاقة والقلة والذلة، وأن أظلم أو أظلم أو أحيل أو يجهل على.^(٣)

وكان من دعائه **ﷺ**: اللهم إني أسئلك الهدى والتقوى والعافية والغنى.^(٤)

والدليل على أن التقلل من الدنيا والاقتصاد فيها والرضا بالكافاف منها والإقتصار على ما يكفي ويفنى عن الناس أفضل من الإستكثار منها والرغبة فيها وأقرب إلى السلام ما رويانا عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله **ﷺ**: قمت على باب الجنة، فإذا عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد - يعني الأغنياء - محبوسون، إلا أصحاب النار وقد أمر بهم إلى النار، وقفت على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء.^(٥)

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله **ﷺ**: لقيت سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها.^(٦)

ورويانا عن عبد الرحمن بن عوف أنه لما حضرته الوفاة بكى بكاء شديداً، فقيل له: ما يبكيك يا أبياً محمد؟! فقال: كان مصعب بن عمير خيراً مني، توفي ولم يترك مال يكفن فيه، ولم توجد له إلا بردة كان إذا غطى بها رأسه

(١) قال الحافظ في التلخيص ١٢٣/٣: وكان يستعين من فقر منسى وغنى مطعني.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٤٧) والنسائي (٥٤٧٠) من حديث أبي هريرة، قال النووي: إسناده صحيح. نقله المناوى ١٨٩/٢.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٤٤) والنسائي (٥٤٩٢) من حديث أبي هريرة، وصححه الحاكم ٧٢٥/١ على شرط مسلم.

(٤) أخرجه مسلم (٤٦٩٠) من حديث ابن مسعود. وفيه "العفاف" بدل "العافية".

(٥) أخرجه البخاري (٦١٩٦) ومسلم (٦٩٣٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد ٤٨٣/٢ (٤٨٣)، وآخرجه البخاري (٢٧٩٦) من حديث أنس.

بدت رجلاء، وإذا غطت بها رجلاء بدت رأسه، وبقيت بعده حتى أصبحت من الدنيا وأصابت مني، وما أحسبني إلا سأحبس عن أصحابي بما فتح الله على من ذلك، وجعل يبكي حتى فاضت نفسه، وفارق الدنيا رحمة الله عليه.

وعن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: خير الرزق ما يكفي، وأفضل الذكر الخفي.^(١)

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم اجعل رزق الـ^(٢)
محمد قوتا.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أبشركم يا معاشر الفقراء! إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمس مائة عام.^(٣)

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمس مائة عام.^(٤)

فهذه الآثار يؤيد بعضها في فضل القناعة والرضا بالكافاف.

وعن خولة بنت حكيم عن النبي ﷺ قال: إن الدنيا خضرة حلوة، فمن أخذها بحقها بورك له فيها، ورب متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم يلقاه.^(٥)

وقال شقيق: دخل معاوية على خاله أبي هشام بن عتبة يعوده فبكى، فقال له معاوية: ما يبكيك يا خالي؟ أوجع تجده، أم حرص على الدنيا؟ قال: كلا، ولكن النبي ﷺ عهد إلىّ فقال: يا أبا [هشام]! إنها لعلك تدركك أموال يؤتاها أقوام، فإنما يكفيك من المال خادم ومركب في سبيل

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٤٧٧) (١٨٢/١) وابن حبان (٣/٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٢٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٢٤).

(٤) أخرجه الترمذى (٢٣٥٣) وابن ماجه (٤١٢٢)، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه الترمذى (٢٣٧٤) وقال: حديث حسن صحيح.

الله، وأراني قد جمعت.^(١)

وعن بريدة الأسلمي عن النبي ﷺ قال: يكفي أحدكم من الدنيا خادم ومركب.^(٢)

وعن سعيد بن المسيب أن ابن مسعود وسعد بن مالك عاداً سلماً، قال: فبكى، فقال له: ما يبكيك؟ قال: عهد إلينا رسول الله ﷺ لم يحفظه أحد، قال: ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزداد الراكب.^(٣) أخذه أبو العتاهية، فأحسن في قوله:

إذا كنت بالدنيا بصيراً فإنما بلاغك منها مثل زاد المسافر
فإن ظن ظان جاهل أن الاستكثار من الدنيا ليس به بأس، أو غلب عليه الجهل، فظن أن ذلك أفضل من طلب الكفاف منها، وشبه عليه بقول الله ﷺ "وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى" [الضحى: ٧] فيما عدد الله ﷺ على النبي ﷺ من نعمة عنده، فإن ذلك ليس كما ظن، وفي الآثار التي قدمنا ما يوضح لك أن الغنى ليس ما ذهب إليه واحتسبه، بل هو غنى القلب، فمن وضع الله الغنى في قلبه فقد أغناه، وكان النبي ﷺ أغنى عباد الله قلباً، وقد روى عنه بذلك صلي الله عليه وسلم آثار كثيرة تدل على ما قلنا.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ليس الغنى من كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس.^(٤)

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس.^(٥)

(١) آخرجه الترمذى (٢٣٢٧) والنسائى (٥٣٧٤) وابن ماجه (٤١٠٣).

(٢) آخرجه الإمام أحمد (٢٣٤٣١) /٥ ٣٦٠ والدارمى ٢٥٦.

(٣) آخرجه ابن ماجه (٤١٠٤) من حديث أنس.

(٤) آخرجه البخارى (٦٤٤٦) ومسلم (٢٤٢٠).

(٥) آخرجه أبو يحيى على فى المسند (٤٠٤) والطبرانى فى الأوسط (٧٢٧٤) /٧ ٣٠، قال البيشى فى مجمع الروايد (١٠١٢): رجال الطبرانى رجال الصحيح.

وقال بكر بن أذينة:

كم من فقير غنى النفس تعرفه ومن غنى فقير النفس مسكين

وقال سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم : كل العيش جربناه، لينه
و شديدة، فوجدناه يكفي منه أدناه.

وقال ابن أبي نجيع: قال سليمان بن داود: أتينا مما أوتى الناس
ومالم يؤتوا، وعلمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا، فلم نجد شيئاً أفضل من
تقوى الله في السر والعلنية، وكلمة العدل في الرضى والغضب، والقصد في
الغنى والفقر.

والكلام في هذا الباب وقصصي القول فيه والأثار فيه لا سبيل إليه
لخروجنا بذلك عن تأليفنا وعماله قصدنا، وإنما حملنا على أن عرجنا على
ذكرنا فيه المعنى الذي اعترضنا مما وصفنا، وبالله التوفيق.

باب

الخبر عن العلم أنه يقود إلى الله

قال الحسن: كنا نطلب العلم الدنيا، فجرنا إلى الآخرة.

وقال معمر: كان يقال: من طلب العلم لغير الله، يأبى عليه العلم حتى يصيره إلى الله.

وقال: إن الرجل ليطلب العلم لغير الله، فيأبى عليه العلم حتى يكون لله.

وقال حبيب بن أبي ثابت: طلبنا هذا الأمر وليس فيه نية، ثم جاءت النية بعد.

وقال سفيان الثوري: كنا نطلب العلم الدنيا، فجرنا إلى الآخرة.

وقال ابن عيينة: طلبنا هذا الحديث لغير الله، فأعقبنا الله ما ترون.

وقال الحسن: لقد طلب أقوام هذا العلم، ماأرادوا به الله وما عندـه،

فما زال بهم حتى أرادوا به الله وما عندـه.

باب

معرفة أصول العلم وحقيقة وما الذي يقع عليه اسم الفقه والعلم مطلقاً

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: العلم ثلاثة،
فما سوى ذلك فهو فضل: أية محبكة، وسنة قائمة، وفرضية عادلة.^(١)
قال المصنف رحمة الله: إن صع الدين كان معناه أنه علم لا ينفع
مع الجهل بآلية المحكمة والسنة القائمة والفرضية العادلة، ولا ينفع في وجه
ما، وكذلك لا يضر جهله في ذلك المعنى وشبهه، وقد ينفع ويضر في بعض
المعانى، لأن العربية والنسب عنصر اعلم الأدب.
قال عبد الله بن عمر: العلم ثلاثة أشياء: كتاب ناطق، وسنة
ماضية، ولأدري.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إنما الأمور ثلاثة: أمر تبين لك رشده
فاتبعه، وأمر تبين لك زيفه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فكله إلى عالم.^(٢)
وقال رسول الله ﷺ: تركت فيكم أمرين لن تتضروا ما تمسكت بهما،
كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.^(٣)
وعن أبي بصر الغفارى عن النبي ﷺ قال: سألت ربى ألا تجتمع
أمتى على ضلاله فأعطيتها.^(٤)

وفي كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عروة: كتبت إلى تسللى عن

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٨٥) وابن ماجه (٥٤).

(٢) أخرجه عبد بن حميد في مسنده ١٥/٢٢٥ والطبراني في الكبير ١٠/٣١٨ (٣٧٧٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٣٩٠: رجاله موثقون. وأخرجه الحاكم ٤/٣٠١ من خصرا وصححة.

(٣) أخرجه الحاكم ١/١٧١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٧٦٦) ٦/٣٩٦.

القضاء بين الناس، وإن رأس القضاء اتباع ما في كتاب الله، ثم القضاء بسنة رسول الله، ثم بحكم أئمة الهدى، ثم استشارة ذوى العلم والرأى.
قال مالك: الحكم حكمان: حكم جاء به كتاب الله، وحكم أحکمه السنة، قال: ومجتهد رأيه فلعله يوفق، قال: ومتكلف، فطعن عليه.
وقال: ليس الفقه بكثرة المسائل، ولكن الفقه يؤتى الله من يشاء من خلقه.

وقال: إن العلم ليس بكثرة الرواية، ولكن نور جعله الله في القلوب.
وقال عبد الله بن مسعود: ليس العلم عن كثرة الحديث، إنما العلم خشية الله.

وقال عبد الله بن عباس: إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن قال بعد ذلك شيئاً برأيه فما أدرى أفي حسناته يجد أم في سيئاته.
وقال الشافعى: ليس لأحد أن يقول في شيء حلال ولا حرام إلا من جهة العلم، وجهة العلم مانص في الكتاب أو في السنة أو في الإجماع أو القياس على هذه الأصول ما في معناها.

عن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة؟ قال: لقد ظننت يا أبو هريرة! أنه لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه.^(١)

وفي رواية أخرى: قلت: يا رسول الله! ماذا رد إليك ربك في الشفاعة؟ فقال: والذى نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألنى عن ذلك لما رأيت من حرصك على العلم، وذكر الحديث.

قال المصنف رحمة الله: في الخبر الأول "لما رأيت من حرصك

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

على الحديث، وفي هذا كما رأيت من حرصك على العلم، فسمى الحديث علمًا على الإطلاق، ومثل ذلك قوله ﷺ: نضر الله عبداً سمع مقالتي، فوعاها ثم بلغها غيره، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.^(١) فسمى الحديث فقها مطلقاً وعلمًا. وكذلك قوله ﷺ: لعبد الله بن عمرو ابن العاص إذا أذن له أن يكتب حديثاً: قيد العلم، فقال له: يا رسول الله! وما تقبيده؟ قال: الكتاب.^(٢) فأطلق على حديثه اسم العلم لمن تدبره وفهمه. وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: أبا المنذر! أى آية معاك في كتاب الله أعظم مرتين؟ قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدرى، وقال: ليهنك بالعلم أبا المنذر!^(٣) وذكر تمام الحديث. وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: بينما أنا وأبو هريرة عند ابن عباس جلته امرأة، فقالت: توفي عنها زوجها وهي حامل، فذكرت أنها وضعت لأدنى من أربعة أشهر من يوم مات عنها زوجها، فقال ابن عباس: أنت لآخر الأجلين. قال أبو سلمة: فقلت: إن عندي من هذا علماء، وذكر حديث سبعة الأسلية.^(٤)

ومن ابن عباس أن عمر بن الخطاب حين خرج إلى الشام فأخبر أن الوباء قد وقع فيها، واختلف عليه أصحاب رسول الله ﷺ، جاء عبد الرحمن بن عوف، فقال: إن عندي من هذا علماء، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم به بأرض... وذكر الحديث.^(٥)

(١) آخر جه أبو داود (٣٦٦٠) والترمذى (٢٦٥٦) وغيرهما.

(٢) آخر جه الحكمى /١٨٨، وفي إسناده ابن المؤمل، وفيه كلام، لكن قال البيشى فى مجمع الرواى /٣٨٠: وتقه ابن معين وابن حبان، وقال ابن سعد: ثقة قليل الحديث.

(٣) آخر جه مسلم (١٨٨٥).

(٤) آخر جه البخارى (٤٦٢٦) ومسلم (٤٨٥).

(٥) تسامه: إذا سمعتم به بأرض فلا تقد مواعليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه. آخر جه البخارى (٥٧٢٩) ومسلم (٥٧٨٤).

وعن عطاء بن أبي رباح في قول الله ﷺ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** [النساء: ٥٩] قال: إلى الله إلى كتاب الله، وإلى الرسول، قيل: مadam حيا، فإذا قبض؟ قال: سنته.

وقال ابن عون: ثلاث أحب لي ولإخواني، هذا القرآن يتذمره الرجل ويتفكر فيه، فيوشك أن يقع على علم لم يكن يعلمه، وهذه السنة يتطلبهما ويسأل عنها، ويذر الناس إلا من خير. قال أحمد بن خالد: هذا هو الحق الذي لا شك فيه. قال: وكان ابن وضاح يعجبه هذا الخبر ويقول: جيد جيد.

وعن عطاء في قول الله ﷺ **أَطِيقُوا اللَّهَ وَأَطِيقُوا الرَّسُولَ** قال: طاعة الله ورسوله اتباع الكتاب والسنة، **وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ** [النساء: ٥٩] قال: أولى العلم والفقه.

قال بقيه بن الوليد: قال لي الأوزاعي: يا بقية! العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجيء عن أصحاب محمد ﷺ فليس بعلم، يا بقية! لا تذكر أحداً من أصحاب محمد نبيك ﷺ إلا بخير ولا أحداً من أمتك، وإذا سمعت أحداً يقع في غيره فاعلم أنه إنما يقول: أنا خير منه.

وعن قتادة في قوله ﷺ **وَيَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ** [سبا: ٦] قال أصحاب محمد ﷺ.

وسئل ابن المسيب عن شع، فقال: اختلف فيه أصحاب رسول الله ﷺ، ولا أرى لي معهم قول، قال ابن وضاح: هذا هو الحق.

قال المصنف رحمة الله: معناه ليس له أن يأتي بقول يخالفهم به.

وقال مجاهد: العلماء أصحاب محمد ﷺ.

وقال سعيد بن جبير: مالم يعرف البذريون فليس بدين.

وعن ابن عباس في قول الله ﷺ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ** [آل عمران: ١١٠] هم الذين هاجروا مع محمد ﷺ.

وعن عبد الله بن الزبير قال: إنا والله لمع عثمان بالجحفة ومعه رهط من أهل الشام، وفيهم حبيب بن مسلمة الفهري، إذ قال عثمان - وذكر له التمتع بالعمرة إلى الحج - أن أتموا الحج وخلصوه في أشهر الحج، فلو أخرتم هذه العمرة حتى تزوروا هذا البيت زورتين كان أفضل، فإن الله قد وسع في الخير، فقال له علي: عدت إلى سنة رسول الله ﷺ، ورخصة رخص للعباد بها في كتابه تضيق عليهم فيها وتنهى عنها، وكانت لذى الحاجة ولنائى الدار، ثم أهل بعمره وجهاً معاً، فأقبل عثمان على الناس فقال: وهل نهيت عنها؟ إنما كان رأياً أشرت به، فمن شاء أخذ به، ومن شاء تركه. قال: فما أنسى قول رجل من أهل الشام مع حبيب بن مسلمة: أنظر إلى هذا كيف يخالف أمير المؤمنين؟ والله لو أمرني لضربت عنقه. قال: فرفع حبيب يده، فضرب بها في صدره وقال: اسكت فض الله فاك، فإن أصحاب رسول الله ﷺ أعلم بما يختلفون فيه.

وسئل ابن سيرين عن المتعة بالعمرة إلى الحج؟ قال: كرهها عمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان، فإن يكن علماً فهما أعلم مني، وإن يكن رأياً فرأيهما أفضل.

وقال أبو وايل شقيق بن سلمة: لما كان يوم صفين وحكم الحكمان سمعت سهل بن حنيف يقول: يأيها الناس! اتهموا رأيك، فلقد رأينا مع رسول الله ﷺ يوم أبي جندل، ولو نستطيع أن نرد على رسول الله ﷺ أمره لرددناه، وذكر الحديث.

وقال مالك بن أنس: إنما أنا بشر أخطئ وأصيّب، فانظروا في رأيي، فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكلما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه. قال مالك: قال لى ابن هرمز - يعني الأعرج - لا تمسك على شيء مما سمعت مني من هذا الرأى، فإنما افتجر به أنا ورببيعة، فلا تمسك.

وقال ابن أبيجر: قال لى الشعبي: ما حدثوك عن أصحاب رسول الله ﷺ فخذبه، وما قالوا فيه برأيهم فقبل عليه.

قال عاصم الأحول: كان ابن سيرين إذا سئل عن شع قال: ليس عندي فيه إلا رأى أتهمه، فيقال له: قل فيه على ذلك برأيك، فيقول: لو أعلم أن رأيي يثبت لقلت فيه، ولكنني أخاف أن أرى اليوم رأيا، وأرى غداً غيره، فاحتاج أن أتبع الناس في دورهم.

وعن سالم بن عبد الله بن عمر أن رجلا سأله عن شع فقال له سالم: لم أسمع في هذا بشع، فقال له الرجل: إنى أرضى برأيك، فقال له سالم: على أخبرك برأي، ثم تذهب، فأرى بعدك رأيا آخر غيره، فلا أجده! وكان عبد الله بن عمرو إذا سئل عن شع لم يبلغه فيه شع قال: إن شئتم أخبرتكم بالظن.

وقد تقدم ذكر قول أبي السمع رحمه الله: أنه سيأتي على الناس زمان يسمن الرجل راحلته، ثم يسير عليها حتى تهزل، يلتمس من يفتيه بسنة، فلا يجد إلا من يفتيه بالظن.

وروى عن مالك رحمه الله أنه كان يقول **إِنَّ نَظَرًا إِلَّا ظَلَّنَا وَمَا نَخْنُ**

بِمُسْتَيْقِنِينَ [الحادية: ٣٢]

وعن عطاء عن أبيه قال: سئل بعض أصحاب النبي ﷺ عن شع، فقال: إنى لأستحيي من ربى أن أقول فى أمة محمد برأي.

وقال عطاء: وأضعف العلم أيضا علم النظر أن يقول الرجل: رأيت فلانا يفعل كذا، ولعله قد فعله ساهيا.

ومن فصل لابن المقفع في اليتيمة قال: ولعمري إن لقولهم "ليس الدين خصومة" أصلاً يثبت، وصدقوا ما الدين بخصوصه، ولو كان خصومة لكان موكولاً إلى الناس يثبتونهم بأرائهم وظنهم، وكل موكول إلى الناس

رهينة ضياع، وما ينقم على أهل البدع إلا أنهم اتخذوا الدين رأياً، وليس الرأى ثقة ولا حتماً، ولم يتجاوز الرأى منزلة الشك والظن إلا قريباً، ولم يبلغ أن يكون يقيناً ولا ثبتاً، ولستم سامعين أحداً يقول لأمر قد استيقنه وعلمه: أرى أنه كذا وكذا، فلا أجد أحداً أشد استخفافاً بدينه من اتخاذ رأيه ورأى الرجال ديناً مفروضاً.

قال المصنف: إلى هذا المعنى - والله أعلم - أشار مصعب الزبيري في قوله:

فأترك ما علمت لرأى غيري وليس الرأى كالعلم اليقين
ولا أعلم بين متقدمي علماء هذه الأمة وسلفها خلافاً أن الرأى
ليس بعلم حقيقة، وأفضل ما روى عنهم في الرأى أنهم قالوا: نعم وزير
العلم الرأى الحسن.

وأما أصول العلم: فالكتاب، والسنة. وتنقسم السنة قسمين، أحدهما: إجماع تناقله الكافة عن الكافة، وهذا من الحجج القاطعة للأعذار إذا لم يوجد هناك خلاف، ومن رد إجماعهم فقد رد نصاً من نصوص الله يجب استتابته عليه وإراقته دمه إن لم يتبع، لخروجه عما أجمع عليه المسلمين، وسلوكه غير سبيل جميعهم.

والضرب الثاني من السنة: خبر الأحاديث الثقات الأثبات المتصل بالإسناد، فهذا يوجب العمل عند جماعة علماء الأمة الذين هم الحجة والقدوة.

قال عمر بن الخطاب: تعلموا الفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن.

وقال شريح: إنما أتفى الأثر، فما وجدت في الأثر حدثكم به.

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى الناس أنه لا رأى لأحد مع

سنة سنها رسول الله ﷺ.

وقال ابن المبارك: ليكن الأمر الذي يعتمدون عليه هذا الأثر،
وخذوا من الرأى ما يفسر لكم الحديث.
وقال سفيان: إنما الدين بالآثار.
وقال أبو بكر الهمذانى: قال لى الزهرى: يا هذلى ! يعجبك الحديث ؟
قلت: نعم، قال: أما إنه يعجبه ذكور الرجال ويذكره مؤنثوهم.
وقال أبو جعفر المنصور للمهدى: يا أبا عبد الله! لا تجلس وقتا
إلا و معك من أهل العلم من يحدثك، فإن محمد بن شهاب الزهرى قال:
الحديث ذكر، ولا يحبه إلا ذكور الرجال، وصدق أخوه زهرة.
وقال أبى يوب السختياني: قلت لعثمان البتى: دلنى على باب من
أبواب الفقه، قال: اسمع الاختلاف.
وقال سفيان: إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد
فيحسن كل أحد.
وقال ذو النون بن إبراهيم: من أعلام البصر بالدين معرفة الأصول
لتسلم من البدع والخطأ، والأخذ بالأوثق من الفروع احتياطاً للتأمين.

باب

العبارة عن حدود علم الديانات وسائل العلوم المنتحلات عند جميع أهل المقالات

حد العلم عند العلماء المتكلمين في هذا المعنى هو ما استيقنته وتبينته، وكل من استيقن شيئاً وتبينه فقد علمه، وعلى هذا [من] لم يستيقن الشئ وقال به تقليداً فلم يعلمه، والتقليل عند جماعة العلماء غير الإتباع، لأن الاتباع هو أن تتبع القائل على ما بان لك من فضل قوله وصحة مذهبة، والتقليل أن تقول بقوله وأنت لا تعرفه ولا وجه القول ولا معناه، وتأنبي من سواه، أو أن يتبعك خطأه فتتبعه مهابة خلافه، وأنت قد بان لك فساد قوله، وهذا حرام القول به في دين الله سبحانه، والعلم عند غير أهل اللسان العربي فيما ذكروا يجوز أن يترجم باللسان العربي ويترجم معرفة ويترجم فهما.

والعلوم تنقسم قسمين: ضروري، ومكتسب، فحد الضروري ما لا يمكن العالم أن يشك فيه نفسه، ولا يدخل فيه على نفسه شبهة، ويقع له العلم بذلك قبل الفكرة والنظر، ويدرك ذلك من جهة الحس والعقل، كالعلم باستحالة كون الشئ متحركاً ساكناً، أو قائماً قاعداً، أو مريضاً صحيحاً في حال واحدة، ومن الضروري أيضاً وجهاً آخر يحصل بسبب من جهة الحواس الخمس، كذوق الشئ يعلم به المرارة والحلوة ضرورة إذا سلمت الجارحة من آفة، وكروية الشئ يعلم بها الألوان والأجسام، وكذلك السمع يدرك به الأصوات.

ومن الضروري أيضاً علم الناس أن في الدنيا مكة والهند ومصر

والصين وبلدانا عرفوها وأنما قد خلت.
وأما العلم المكتسب فهو ملكان طريقه الاستدلال والنظر، ومنه الخفي
والجلى، فما قرب من العلوم الضرورية كان أجلى، وما بعد منها كان أخفى.
والمعلومات على ضربين: شاهد، وغائب، فالشاهد ما علم
ضرورة، والغائب ما علم بدلالة من الشاهد.

والعلوم عند جميع أهل الديانات ثلاثة: علم أعلى، وعلم أسفل،
وعلم أووسط، فالعلم الأعلى عندهم علم الدين الذى لا يجوز لأحد الكلام فيه
بغير ما أولا الله فى كتبه وعلى ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم نصا. والعلم
الأوسط هو معرفة علوم الدنيا التى يكون معرفة الشع منها بمعرفة نظيره،
ويستدل عليه بجنسه ونوعه، كعلم الطب والهندسة. والعلم الأسفل هو
أحكام الصناعات وضروب الأعمال، مثل السباحة والفروسية والذى
والتزويق والخط وما أشبه ذلك من الأعمال التى هي أكثر من أن يجمعها
كتاب أو يأتي عليها وصف، وإنما تحصل بتدریب الجوارح فيها. وهذا
التقسيم في العلوم كذلك هو عند أهل الفلسفة إلا أن العلم الأعلى عندهم هو
علم القياس في العلوم العلوية التي ترتفع عن الطبيعة والفلك، مثل الكلام في
حدوث العالم وزمانه، والتشبّه ونفيه، وأمور لا يدرك شع منها
بالمشاهدة ولا بالحواس، قد أغنت عن الكلام فيها كتب الله الناطقة
بالحق، المنزلة بالصدق، وما صر عن الأنبياء صلوات الله عليهم، ثم العلم
الأوسط والأسفل عندهم على ما ذكرنا عن أهل الديان، إلا أن العلم
الأوسط ينقسم عندهم على أربعة أقسام هي كانت عندهم رؤوس العلوم،
وهي علم الحساب والتنجيم والطب وعلم الموسيقى، ومعناه تأليف اللحون
وتعديل الأصوات وزن الأنقار وأحكام صنوف الملاهى.
فاما علم الموسيقى واللهو فمطرح ومنبوز عند جميع أهل الديان

على شرائط العلم والإيمان، وأما علم الحساب فالصحيح عندهم منه معرفة العدد والضرب والقسمة والتسمية وإخراج الجذور جمل الأعداد ومعنى الخط والدائرة والنقطة وإخراج الأشكال بعضها من بعض وما شاكل ذلك. والحساب علم لا يكاد يستغنى عنه ذو علم من العلوم. وأما التنجيم فثمرته وفائتها عند جميع أهل الأديان جريمة الفلك ومسير الدراري ومطالع البروج، ومعرفة ساعة الليل والنهار، وقوس الليل من قوس النهار في كل بلد وفي كل يوم، وبعد كل بلد من خط الاستواء، ومن المجر الشمالي والأفق الشرقي والغربي، ومولد الهلال وظهوره، وإطلاع الكوكب لأنواعه وغيرها، ومشيها واستقامتها وأخذها في الطول والعرض، وكسوف الشمس والقمر، ووقته ومقداره في كل بلد، ومعنى سنى الشمس والقمر وسنى الكواكب، ومن أهل العلم من ينكر شيئاً مما وصفنا أنه لا يعلم أحد بالنجمة شيئاً من الغيب ولا علمه أحد قط على صحيحاً، إلا أن يكون نبياً خصه الله بما لا يجوز إدراكه، قالوا: ولا يدعى معرفة الغيب بها اليوم على القطع إلا كل جاهل منقوص مفتر متخرص، إذ في أقدارهم أنه لا يمكن تحديثها إلا في أكثر من عمر الدنيا ما يكذبهم في كل ما يدعون معرفته بها. والمتخرصون بالنجمة كالمتخرصين بالعيافة والزجر وخطوط الكف والنظر في الكتف وفي مواضع قرض الفار، وفي الخيلان والعلاج بالكفر وملك الجن وما شاكل ذلك مما لا تقبله العقول، ولا يقوم عليه برهان، ولا يصح من ذلك كله بشيء، لأن ما يدركون منه يخطئون في مثله مع فساد أصله، وفي إدراكم الشيء وذهاب مثله أضعافاً ما يدرك على فساد ما زعموه، ولا صحيح على الحقيقة إلا ما جاء في أخبار الأنبياء، صلوات الله عليهم.

قال عمر: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر، ثم أمسكوا.

وقال إبراهيم: لا بأس أن تتعلم من النجوم ما تهتدى به.
وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من اقتبس علما من
النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد مازاد.^(١)

وقال ابن عباس في قوم ينظرون في النجوم: أولئك لا خلاق لهم.
وعن أبي محجن قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: أخاف
على أمتي بعدى ثلاثة: حيف الأئمة، وإيمان بالنجوم، وتكذيب بالقدر.^(٢)
وأما الطبع فلفهم طبائع نبات الأرض وشجرها ومياهها ومعادنها
وجواهرها وطعومها وروائحها، ومعرفة العناصر والأركان، وخواص
الحيوان وطبائع الأبدان والغرائز والأعضاء، والآفات العارضة، وطبائع
الأزمان والبلدان، ومنافع الحركة والسكن، وضرور المداواة والرفق
والسياسة، فهذا هو العلم الثاني الأوسط، وهو علم الأبدان، والعلم الأول
الأعلى علم الأديان. والعلم الثالث الأسفل ما دربت على عمله الجوارح كما
قدمنا ذكره.

وأتفق أهل الأديان أن العلم الأعلى هو علم الدين.
وأتفق أهل الإسلام أن الدين تكون معرفته على ثلاثة أقسام، أولها:
معرفة خاصة بالإيمان والإسلام، وذلك معرفة التوحيد والإخلاص،
ولايصل إلى علم ذلك إلا بالنبي ﷺ، فهو المؤدى عن الله والمبين لمراده،
وبما في القرآن من الأمر بالاعتبار في خلق الله بالدلائل من آثار صنعته في
بريته على توحيده وأزليته سبحانه، والإقرار والتصديق بكل ما في القرآن
وبملائكة الله وكتبه ورسله.

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجه (٣٧٢٦).

(٢) أخرجه ابن عساكر (٤٠١/٥٨) وصححه الألباني في صحيح المعام الصغير وزيادته (٢١٤)، وأخرج
نحوه الإمام أحمد (٢٠٨٦٣) (٨٩/٥) وغيره من حديث جابر بن سمرة.

والقسم الثاني: معرفة مخرج خبر الدين وشرائطه، وذلك معرفة النبي ﷺ الذي شرع الله الدين على لسانه وبيده، ومعرفة [أصحابه الذين] أدوا ذلك عنه، ومعرفة الرجال الذين حملوا ذلك وطبقاً لهم إلى زمانك، ومعرفة الخبر الذي يقطع العذر لتواته وظهوره. وقد وضع العلماء في كتب الأصول من تلخيص وجوه الأخبار ومخارجها ما يكفي الناظر فيه ويشفيه، وليس هذا موضع ذكر ذلك لخروجنا به عن تأليفنا وعن ماله قصدنا.

والقسم الثالث: معرفة السنن واجبها وأدبيها وعلم الأحكام، وفي ذلك يدخل خبر الخاصة العدول ومعرفته، ومعرفة الفريضة من النافلة، ومخارج الحقوق والنداعي، ومعرفة الإجماع من الشذوذ. قالوا: ولا يوصل إلى الفقه إلا بمعرفة ذلك، وبالله التوفيق.

قال أبو إسحاق: العلوم ثلاثة: علم دنياوي، وعلم دنياوي وأخرى، وعلم لا للدنيا ولا للأخرة، فالعلم الذي للدنيا علم الطب والنجوم وما أشبه ذلك، والعلم الذي للدنيا والأخرة علم القرآن والسنن والفقه فيما، والعلم الذي ليس للدنيا ولا للأخرة علم الشعر والشغل به.

باب مختصر

في مطالعة كتب أهل الكتاب والرواية عنهم

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: بلغوا عنى ولو آية،
وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.^(١)

وعن أبي نعمة الأنباري أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ
جاءه رجل من اليهود، فقال: يا محمد! هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول
الله ﷺ: الله أعلم، فقال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم، فقال رسول الله ﷺ:
ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقون ولا تكذبوا، وقولوا أمنا بالله وكتبه
ورسله، فإن كان حقالم تكذبوا، وإن كان باطلًا لم تصدقوا.^(٢)

وعن عطاء بن يسار قال: كانت يهود يحدثون أصحاب النبي ﷺ،
فيسبحون كأنهم يتعجبون، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا
ولا تكذبوا، وقولوا أمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلينا وإليهم واحد
ونحن له مسلمون.

قال عبد الله بن مسعود: لا تسألو أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن
يهذبوا وقد أضلوا أنفسهم، فتكذبون بحق وتصدقون بباطل، قال: إن
كنتم سائليهم لا محالة فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه، وما خالف
كتاب الله فدعوه.

وعن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: والذى نفسي محمد بيده،
لو أصبح فيكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضلالكم، إنكم حظى في
الأمم، وأنا حظكم من النبيين.^(٣)

(١) آخر جه البخاري (٣٤٦١).

(٢) آخر جه أبو داود (٣٦٤٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٥٢٢٣) والدارمي ١٢٢/١.

وعن ابن عباس قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ؟ وكتابكم الذي أنزله الله على نبيه ﷺ بين أظهركم أحدث الكتب عهداً بربه غضاً لم يشب، ألم يخبركم الله في كتابه أنهم قد غيروا كتاب الله وبذلوه، وكتبوا الكتاب بأيديهم فقالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً؟ ألا ينه لكم العلم الذي جاءكم عن مسألكم؟ والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عما أنزل الله إليكم.

وعن جابر أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب، فقال: يا رسول الله! إني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب، قال: فغضب، وقال: أمتهاكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذى نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيساء نقية، لا تسائلوهم عن شئ فيحدثونكم بحق، فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذى نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى.^(١)

وقال عمر لكعب: إن كنت تعلم أنها التوراة التي أنزلها الله على موسى بن عمران فاقرأها أناء الليل والنهر.

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٥١٩٥).

باب

من يستحق أن يسمى فقيها حقيقة لا مجازا ومن يجوز له الفتيا عند العلماء

عن ابن مسعود قال: قال لى رسول الله ﷺ : يا عبد الله بن مسعود ! قلت: ليك يا رسول الله ! قال: أتدرى أى الناس أفضل ؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أفضل الناس أفضليهم عملا إذا فقهوا في دينهم، قال: يا عبد الله بن مسعود ! قلت: ليك يا رسول الله ! قال: أتدرى أى الناس أعلم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أعلم الناس بأصرهم بالحق إذا اختلف الناس، وإن كان مقصرا في العمل، وإن كان يزحف على إسته.^(١)

قال أبو يوسف: وهذه صفة الفقهاء.

وقالت أم الدرداء: أفضل العلم المعرفة.

وقال حسان بن عطيه: ما ازداد عبد بالله علمًا إلا ازداد الناس منه قرباً.

وكان الحسن البصري كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

يسر الفتى ملakan قدم من تقى إذا عرف الداء الذى هو قاتله
وعن مجاهد فى قوله ﷺ وما خلقتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَغْبُلُونَ [الذاريات: ٥٦] قال: إلا ليعرفون. وقال ابن جريج: إلا ليعلموا ما جبلتهم عليه من الشقة والسعادة.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ : ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ؟ قالوا: بلى، قال: من لم يقتنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيدهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى مساواه. ألا لا خير

(١) أخرجه الحاكم ٢٢٥ وصححه، وقال الت嫩ي: ليس بمحض.

في عبادة ليس فيها تفقه، ولا علم ليس فيه تفهم، ولا قراءة ليس فيها تدبر.
وقيل للقمان: أى الناس أغنى؟ قال: من رضى بما أوتي، قالوا:
فأيهم أعلم؟ قال: من أزداد من علم الناس إلى علمه.
وعن كعب أنس بن موسى رض قال: يارب! أى عبادك أعلم؟ قال: عالم
غرثان العلم. قال ابن وهب: يربى الذى لا يشبع من العلم.
وعن عمرة مولى غفرة أنس بن موسى رض قال: يارب! أى عبادك أعلم؟
قال: الذى يلتمس علم الناس إلى علمه.
وقال عبد الله بن مسعود: كفى بخشية الله علما، وكفى بالاغترار
بالله جهلا.
وقال أبو الدرداء: لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجودها
كثيرة، ولن تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في ذات الله، ثم تقبل على
نفسك، ف تكون لها أشد مقتا منك من الناس.
قيل لأبيو: أرأيت قوله "حتى ترى للقرآن وجودها كثيرة"؟
فسكت يتفكر، فقيل: هو أن يرى له وجودها، فهاب الإقدام عليه؟ قال: هو
هذا، هو هذا.
وقال إيساس بن معالية: إنه لتأتيني القضية أعرف لها وجهين، قال:
فأيهما أخذت به عرفت أنى قضيت بالحق.
وقال قتادة: من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه بأنفه.
وقال سعيد بن أبي عروبة: من لم يسمع الاختلاف فلا تدعوه عالماً.
وقال هشام بن عبيد الله الرازي: من لم يعرف اختلاف القراء فليس
بقارئ، ومن لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه.
وقال عطاء: لainبغى لأحد أن يفتى الناس حتى يكون عالماً باختلاف
الناس، فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذى في يديه.

وقال أبوب السختياني: أَجْسَرَ النَّاسَ عَلَى الْفِتْيَا أَقْلَمَهُمْ عَلَمًا
باختلاف العلماء، وأمسك الناس عن الفتيا أعلمهم باختلاف العلماء.

وقال ابن عبيدة: العالم الذي يعطى كل حديث حقه.

وقال أيضاً: أَجْسَرَ النَّاسَ عَلَى الْفِتْيَا أَقْلَمَهُمْ عَلَمًا باختلاف العلماء.

وقال الحارث بن يعقوب: إِنَّ الْفَقِيهَ كُلُّ الْفَقِيهِ مِنْ فَقَهٍ فِي الْقُرْآنِ،

وَعْرَفَ مَكِيدَةَ الشَّيْطَانِ.

وسئل مالك لمن تجوز الفتوى؟ قال: لا تجوز الفتوى إلا لمن علم ما اختلف الناس فيه، قيل له: اختلاف أهل الرأي؟ قال: لا، اختلاف أصحاب محمد ﷺ، والناسخ والمنسوخ من القرآن ومن حديث الرسول ﷺ، وكذا يفتني.

وقال ابن الماجشون: كانوا يقولون: لا يكون إماماً في الفقه من لم يكن إماماً في القرآن والأثار، ولا يكون إماماً في الأثار من لم يكن إماماً في الفقه.

قال: وكانوا يقولون: لا يكون فقيهاً في الحادث من لم يكن عالماً بالماضي.

وقال محمد بن العندر: ما كنا ندعوا الرواية إلا روایة الشعر، وما كانقول هذا يروى أحاديث الحكم إلا عالم.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: لا يكون إماماً في الحديث من تتبع شواذ الحديث، أو حدث بكل ما يسمع، أو حدث عن كل أحد.

وقال يحيى بن سلام: لا ينبغي لمن لا يعرف الاختلاف أن يفتني، ولا يجوز لمن لا يعلم الأقوال أن يقول: هذا أحب إلىّ.

وقال قصيبة بن عقبة: لا يفلح من لا يعرف اختلاف الناس.

وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة، رجل يدرى أنه لا يدرى، فذلك جاهل فعلموه، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فهو، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك مائق فاحذروه.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: لا يكون إماماً في العلم من أخذ بالشاذ من العلم، ولا يكون إماماً في العلم من روى عن كل أحد، ولا يكون إماماً في العلم من روى كل ما سمع.

وعن سعيد بن المسيب أنه كان يقول: ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله، كما أنه من غالب عليه نقصانه ذهب فضله.

وقال غيره: لا يسلم العالم من الخطأ، فمن أخطأ قليلاً وأصاب كثيراً فهو عالم، ومن أصاب قليلاً وأخطأ كثيراً فهو جاهل.

وقال مالك بن أنس رحمه الله: لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه معلن السفه، وصاحب هوى يدعوا إليه، ورجل معروف بالكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يكذب على الرسول ﷺ، ورجل له فضل وصلاح لا يعرف ما يحدث به.

وعن عطاء في قوله ﷺ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عَبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** [فاطر: ٢٨].
قال: من خشي الله فهو عالم.

وقال مجاهد: الفقيه من خاف الله.

وقال سليمان بن موسى: يجلس إلى العالم ثلاثة: رجل يأخذ كل ما سمع، ورجل لا يحفظ شيئاً وهو جليس العالم، ورجل ينتفي وهو خيرهم، قال: وإذا كان علم الرجل حجازياً وخلقه عراقياً وطاعته شامية يعني أنه الرجل.

بَابِ

مَا يُلْزِمُ الْعَالَمَ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا لَا يَدْرِيهُ مِنْ وِجْهِهِ الْعِلْمُ

عن ابن عمر قال: جله رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أى البقاء خير؟ قال: لا أدرى، فقال: أى البقاء شر؟ فقال: لا أدرى، قال: سل ربك، فأتاه جبريل ﷺ فقال: يا جبريل! أى البقاء خير؟ قال: لا أدرى، فقال: أى البقاء شر؟ فقال: لا أدرى، فقال: سل ربك، فانتفض جبريل انتفاضة كاد يصعق منها محمد ﷺ، وقال: ما أسألك عن شئ، فقال الله ﷺ لجبريل: سألك محمد أى البقاء خير؟ فقالت: لا أدرى، وسألك أى البقاء شر؟ قلت: لا أدرى، فأخبره أن خير البقاء المساجد، وأن شر البقاء الأسواق.^(١)

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ما أدرى أعزير نبى أم لا؟ وما أدرى أتبع ملعون أم لا؟^(٢).

وعن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: ما أدرى تبع لعين أم لا؟ وما أدرى ذوالقرنيين نبى أم لا؟ وما أدرى الحدود كفلارات لأهلها أم لا؟^(٣).
 وقال ابن سيرين: لم يكن أحد بعد النبي ﷺ أهيب لما لا يعلم من عمر، وإن أبا بكر نزلت به قضية، فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً ولا في السنة أثراً، فاجتهد رأيه، ثم قال: هذارأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمني، وأستغفر الله.

وقال عبد الله بن مسعود: أيها الناس! من سئل عن علم يعلمه فليقل به، ومن لم يكن عنده علم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، إن الله تبارك وتعالى قال لنبيه ﷺ: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْنِي مِنْ

(١) أعرجه الحاكم ١٦٧/١ - ١٦٨.

(٢) أعرجه أبو داود (٤٦٧٤).

(٣) أعرجه أبو داود (٤٦٧٤) والحاكم ٤٨٨-٤٨٩.

أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ. (١) [ص: ٨٦]

وسائل الشعبي عن مسألة فقال: هي زبله هبله ذات وبر لا أحسنها، ولو أقيمت على بعض أصحاب رسول الله ﷺ لأعذلت به، وإنما نحن في العنق ولسنا في النون، فقال له أصحابه: قد استحببنا لك مما رأينا منك، فقال: لكن الملائكة المقربين لم تستحب حين قالت: **لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْنَا**. [البقرة: ٣٢]

قال أبو بكر الصديق: أى سماء تظلني، وأى أرض تقلنني إذا قلت في كتاب الله بغير علم.

وقال علي بن أبي طالب: أى أرض تقلنني أو أى سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وسائل ابن عمر عن شعيب، فقال: لا أدرى، فلما ولى الرجل قال: نعم أقال عبد الله بن عمر، سئل عملا لا يعلم فقال: لا علم لي به.

وسائل سعيد بن جبير عن شعيب، فقال: لا أعلم، ثم قال: ويل للذى يقول لما لا يعلم: إنى أعلم.

وذكر الشعبي عن علي عليه السلام أنه خرج عليهم وهو يقول: ما أبددها على الكبد، فقيل له: وما ذلك؟ قال: أن تقول للشىء لاتعلمه: الله أعلم.

وقال ابن عون: كنت عند القاسم بن محمد إذ جاءه رجل، فسألته عن شعيب، فقال القاسم: لا أحسنـه، فجعل الرجل يقول: إنـى رفعتـ إلـيـكـ لا أعرفـ غـيرـكـ، فقال القاسم: لا تنظرـ إلـى طـولـ لـحيـتـيـ وكـثـرـةـ النـاسـ حـولـيـ، واللهـ مـا أـحـسـنـهـ، فقالـ شـيـعـ منـ قـرـيـشـ جـالـسـ إـلـى جـنـبـهـ: يـا اـبـنـ أـخـيـ! الزـمـهـاـ، فـوـالـلـهـ مـا رـأـيـتـكـ فـى مـجـلـسـ أـنـبـلـ مـنـكـ الـيـوـمـ، فقالـ القـاسـمـ: وـالـلـهـ لـأـنـ يـقـطـعـ لـسـانـيـ أـحـبـ إـلـى مـنـ أـنـ أـتـكـلـ بـمـا لـا عـلـمـ لـيـ بـهـ.

وقال عبد الرحمن بن مهدى: كنا عند مالك بن أنس، فجاءه رجل،

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٩) ومسلم (٧٠٦٦).

فقال له: يا أبا عبد الله! جئتك من مسيرة ستة أشهر، حملني أهل بلدي مسألة أسألك عنها، قال: فسل، فسأله الرجل عن المسألة، فقال: لا أحسنها، قال: فبهت الرجل كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء، فقال: أى شيء أقول لأهل بلدى إذا رجعت إليهم؟ قال: تقول لهم: قال مالك: لا أحسن.

ونذكر ابن وهب في كتاب المجالس قال: سمعت مالكا يقول: ينبغي للعالم أن يألف فيما أشكل عليه قول لا أدرى، فإنه عسى أن يهيا له خير، قال ابن وهب: وكنت أسمعه كثيراً ما يقول: لا أدرى، وقال في موضع آخر: لو كتبنا عن مالك لا أدرى لملأنا الألواح.

وقال القاسم بن محمد: لأن يعيش الرجل جاهلاً خيراً من أن يقول على الله مالاً يعلم، ثم قال: هذا أبو بكر الصديق وقد خصه الله بما خصه من الفضل يقول: لا أدرى.

قال مالك: كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين، يسأل عن الشع فلا يجيب، حتى يأتيه الوحي، وهذه الملائكة قد قالت: لا علمنا [القراءة: ٣٢].

قال ابن عباس: إذا ترك العالم لا أعلم فقد أصيّبت مقاتلته.

قال عقبة بن مسلم: صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهراً، فكان كثيراً ما يسأل، فيقول: لا أدرى، ثم يلتفت إلى، فيقول: أتدرى ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً إلى جهنم.

وقال أبو الدرداء: قول الرجل فيما لا يعلم لا أعلم نصف العلم.

وقال أبو الذیال: تعلم لا أدرى ولا تعلم أدرى، فإنك إن قلت: لا أدرى علموك حتى تدرى، وإن قلت: أدرى سألكوك حتى لا تدرى.

وقال ابن مسعود: إن من يفتى الناس في كل ما يستفتونه لمجنون.

قال الأعمش: فذكرت ذلك للحكم بن عتبة، فقال: لو سمعت هذا منك قبل اليوم ما كنت أفتى في كل ما أفتى.

باب

تدافع الفتوى وذم من سارع إليها

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ -أراه قال: في المسجد - فما كان منهم محدث إلا ود أن أخيه قد كفاه الحديث، ولا مفت إلا ود أن أخيه كفاه الفتيا..

قال بكير بن الأشج: كان معاوية بن أبي عياش جالساً عند عبدالله ابن الزبير وعاصم بن عمر، قال: فجله، هما محمد بن إياس بن البكير فقال: إن رجلاً من أهل الباية طلق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها، فماذا تريان؟ فقال عبد الله بن الزبير: إن هذا الأمر مالنا فيه قول، فاذهب إلى عبد الله ابن عباس وأبى هريرة، فإني تركتهما عند عائشة زوج النبي ﷺ، فسللهمَا ثم ائتنا فأخبرنا. فذهب فسألهما، فقال ابن عباس لأبى هريرة: افته يا أبا هريرة! فقد جائتك معضلة، فقال أبو هريرة: الواحدة تبينها والثلاث تحرّمها حتى تنكح زوجاً غيره.

وقال ابن عباس: إن من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه لمجنون. وعن محمد بن سليمان المرادي عن شيخ من أهل المدينة يكنى أبا إسحاق قال: كنت أرى الرجل في ذلك الزمان، وإنه ليدخل فيسأل عن الشع، فيدفعه الناس من مجلس إلى مجلس، حتى يدفع إلى مجلس سعيد ابن المسيب كراهية الفتيا، كانوا يدعون سعيد بن المسيب الجريء.

قال ابن عون: كنت جالساً في حلقة فيها القاسم بن محمد، فجله رجل ومعه جارية، فقال: إنني أعتقت هذه الجارية عن دبر مني، فولدت أولاداً، فأفأبيع من أولادها شيئاً؟ فقال القاسم: ما أدرى ما هذا؟ فقال رجل في المجلس: قضى عمر بن عبد العزيز أن أولادها بمنزلتها، إذا أعتقت

أعتقدوا بعقولها، فقال القاسم: ما أرى رأيه إلا معتدلاً، وهذا رأيي وما أقول إنَّه الحق.

وقال ابن عيينة: أجسر الناس على الفتيا أقلهم علمًا.

وقال سحنون بن سعيد: أجسر الناس على الفتيا أقلهم علمًا، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم، فيفطن أن الحق كله فيه.

قال سحنون: إنِّي لأحفظ مسائل، منها ما فيه ثمانية أقوال من ثمانية أئمة من العلماء، فكيف ينبغي أن أجعل بالجواب حتى أتخير، فلم ألام على حبسى الجواب؟

وسائل ابن شهاب عن شعفان قال: ما سمعت فيه شيئاً، وما نزل بنا، فقيل: إنه قد نزل لبعض إخوانك، قال: ما سمعت فيه بشيء وما نزل بنا، وما أنا بسائل فيه شيئاً.

وقال عمر لأبي مسعود عقبة بن عمرو: ألم أنت تفتى الناس؟ ولـ حارها من تولى قارها.

وقال حذيفة: إنما يفتى الناس أحد ثلاثة: رجل يعلم ناسخ القرآن ومنسوخه، وأمير لا يجد بدًا، وأحمق متكلف. قال ابن سيرين: فأنا لست بأحد هذين وأرجو أن لا أكون أحمق متكلفًا.

قال أبو المنهال: سألت زيد بن أرقم والبراء بن عازب عن الصرف، فجعل كلما سألهما قال: سل الآخر، فإنه خير مني وأعلم مني، وذكر الحديث في الصرف.

بَابٌ

رتب الطلب والنصيحة في المذهب

قال المصنف رحمة الله: طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تغبيها، ومن تعدادها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمة الله، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل، ومن تعداده مجتهداً زل. فأول العلم حفظ كتاب الله جل وعز تفهمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول إن حفظه كله فرض، ولكن أقول: إن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالماً ليس من باب الفرض.

عن الضحاك في قوله ﴿كُونُوا رَبِّاً يَتَّبِعُنَّ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
الكتاب [آل عمران: ٧٩] قال: حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيها.

فمن حفظه قبل بلوغه ثم فرغ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان العرب كان له ذلك عوناً كبيراً على مراده منه ومن سنن رسول الله ﷺ، ثم ينظر في ناسخ القرآن ومنسوخه وأحكامه، ويقف على اختلاف العلماء واتفاقهم في ذلك، وهو أمر قريب على من قربه الله عليه، ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ، فيها يصل الطالب إلى مراد الله جل وعز في كتابه، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحا، وفي سير رسول الله ﷺ تنبئه على كثير من الناسخ والمنسوخ في السنن. ومن طلب السنن فليكن معه على حديث الأئمة الثقات الحفاظ الذين جعلهم الله خزائن لعلم دينه، وأمنه على سنن رسول الله ﷺ، كمالك بن أنس الذي قد اتفق المسلمين طرا على صحة نقله وتفاوت حديثه وشدة توقيه وانتقاده، ومن جرى مجراه من ثقات علماء الحجاز والعراق والشام، كشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري والأوزاعي وابن عبيفة ومعمر وسائر أصحاب ابن شهاب الثقات كابن

جريج وعقيل ويونس وشعيب والزبيدي والليث، وحديث هؤلاء عند ابن وهب وغيره، وكذلك حديث حماد بن زيد وحماد بن سلمة ويعيني بن سعيد القطنان وأبن المبارك وأمثالهم من أهل الثقة والأمانة، وعلى حديثهم اعتمد المصنفون للسنن الصحاح، ومسلم وأبوداود والنسائي، ومن سلك سبيلهم كالعقيلي والترمذى وأبن السكن ومن لا يحصى كثرة، وإنما صار مالك ومن نكرنا معه أئمة عند الجميع لأن علم الصحابة والتابعين في أقطار الأرض انتهى إليهم لبحثهم عنه رحمة الله، والذي يشد عنهم يسير نذر في جنب ما عندهم.

ومما يستعان به على فهم الحديث ما نكرناه من العون على كتاب الله، وهو العلم بلسان العرب وموقع كلامها، وسعة لغاتها واستعارتها ومجازها، وعموم لفظ مخاطبها وخصوصها، وسائل مذاهبها من قدر، فهو شع لا يستغنی عنه، وكان عمر بن الخطاب رض يكتب إلى الأفاق أن يتعلموا السنة والفرائض واللحن يعني النحو كما يتعلم القرآن.

قال أبو عثمان النهدي: كان في كتاب عمر: تعلموا العربية.

وقال عمر بن زيد: كتب عمر إلى أبي موسى: أما بعد، فتفقهوا في السنة؛ وتفقهوا في العربية.

وعن نافع أن ابن عمر كان يضرب ولده على اللحن.

وقال الشعبي: النحو في الكلام كالملح في الطعام.

وقال شعبة: مثل الذي يتعلم الحديث، ولا يتعلم النحو مثل برنس لا رأس له.

قال الشافعى: من حفظ القرآن عظمت قيمته، ومن طلب الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في النحو رق طبعه، ومن لم يচن نفسه لم يصنف العلم.

ويلزم صاحب الحديث أن يعرف الصحابة المؤدين للدين عن

نبיהם عليهم السلام، ويعنى بسيرهم وفضائلهم، ويعرف أحوال الناقلين عنهم وأيامهم وأخبارهم، حتى يقف على العدول منهم من غير العدول، وهو أمر قريب كله على من اجتهد، فمن اقتصر على علم إمام واحد، وحفظ ما كان عنده من السنن، ووقف على غرضه ومقصده في الفتوى، حصل على نصيب من العلم وافر، وحظ منه حسن صالح، فمن قنع بهذا اكتفى، والكافية غير الغنى، ومن طلب الإمامة في الدين وأحب أن يسلك سبيل الذين جاز لهم الفتيا نظر في أقاويل الصحابة والتابعين والأئمة في الفقه إن قدر على ذلك، فأمره بذلك كما أمرناه بالنظر في أقاويلهم في تفسير القرآن، فمن أحب الاقتصار على أقاويل علماء الحجاز اكتفى واهتدى إن شاء الله، وإن أحب الإشراف على مذاهب الفقهاء متقدميهم ومتأخريهم بالحجاز والعراق، وأحب الوقوف على ما أخذوا وتركوا من السنن، وما اختلفوا في ثبتيه وتأويله من الكتاب والسنة، كان ذلك له مباحاً ووجهاً محموداً، إن فهم وضبط ما علم، [و] سلم من التخليط نال درجة رفيعة، ووصل إلى جسيم من العلم واتسع ونبل إذ أفهم ما اطلع، وبهذا يحصل الرسوخ لمن فقهه الله، وصبر على هذا الشأن، واستحلى مرارته، واحتمل ضيق المعيشة فيه.

واعلم رحمك الله أن طلب العلم في زماننا هذا وفي بلدنا قد حاد أهلـه عن طريق سلفـهم، وسلـكـوا في ذلك مـالـمـيـعـرـفـهـ أـئـمـتـهـ، وابتـدـعـواـفـيـ ذـلـكـ ماـبـانـبـهـ جـهـلـهـمـ وـتـقـصـيرـهـمـ عنـمـرـاتـبـالـعـلـمـ، قـبـلـهـمـ، فـطـائـفـةـ مـنـهـمـ تـرـوـيـ الحـدـيـثـ وـتـسـمـعـهـ، قـدـ رـضـيـتـبـالـدـرـوـبـ فـيـ جـمـعـ مـاـ لـاـ تـفـهـمـ، وـقـنـعـتـبـالـجـهـلـ فـيـ حـمـلـ مـاـلـاـتـعـلـمـ، فـجـمـعـواـغـثـ وـالـثـمـينـ، وـالـصـحـيـحـ وـالـسـقـيمـ، وـالـحـقـ وـالـكـذـبـ فـيـ كـتـابـ وـاحـدـ، وـرـبـمـاـ فـيـ وـرـقـةـ وـاحـدـةـ، وـيـدـيـنـونـ بـالـشـعـ وـضـدـهـ، وـلـاـ يـعـرـفـونـ مـاـ فـيـ ذـلـكـ عـلـيـهـمـ، قـدـ شـغـلـواـ أـنـفـسـهـمـ بـالـاسـتـكـثـارـ عـنـ التـدـبـرـ وـالـاعـتـبـارـ، فـأـلـسـنـتـهـمـ تـرـوـيـ الـعـلـمـ، وـقـلـوـبـهـمـ قـدـ خـلـتـ مـنـ الـفـهـمـ، غـاـيـةـ أحـدـهـ

معرفة الكتب الغريبة والاسم الغريب أو الحديث المنكر، وتجد قد جهل ما لا يكاد يسع أحداً جهله من علم صلاتة وحجه وصيامه وزكاته، وطائفة هي في الجهل كتلك أو أشد، لم يعنوا بحفظ سنة، ولا الوقوف على معانيها، ولا بأصل من القرآن، ولا اعتنوا بكتاب الله جل وعز فحفظوا تزيلاً، ولا عرفوا مالعلماء في تأويله، ولا وقفوا على أحكامه، ولا تفهوا في حلاله وحرامه، قد اطربوا علم السنن والأثار، وزهدوا فيها وأضربوا عنها، فلم يعرفوا الإجماع من الاختلاف، ولا فرقوا بين التنازع والاختلاف، بل عولوا على حفظ ما دون لهم من الرأي والاستحسان الذي كان عند العلماء، آخر العلم والبيان، وكان الأئمة يبكون على ما سلف وسبق لهم فيه، ويودون أن حظهم السلامة منه.

واعلم يا أخي ! أن المفترط في حفظ المولدات لا يؤمن عليه الجهل بكثير من السنن إذا لم يكن تقدم علمه بها، وأن المفترط في حفظ طرق الأثار دون الوقوف على معانيها وما قال الفقهاء فيها لصغر من العلم، وكلاهما قانع بالشتم من المطعم، ومن الله التوفيق والحرمان، وهو حسبي وبه أتعصم.

واعلم يا أخي أن الفروع لا حد لها تنتهي إليه أبداً، ولذلك شعبت، فمن رام أن يحيط بأراء الرجال فقد رام ما لا سبيل له ولا لغيره إليه، لأنَّه لا يزال يرد عليه ما لا يسمع، ولعله أن ينسى أول ذلك بأخره لكثرة، فيحتاج أن يرجع إلى الاستنباط الذي كان يفزع منه ويجبن عنه تورعاً بزعمه أن غيره كان أدرى بطريق الاستنباط منه، فلذلك عول على حفظ قوله، ثم إن الأيام تضطره إلى الاستنباط مع جهله بالأصول، فجعل الرأي أصلاً واستنبط عليه.

واعلم أنه لم تكن مناظرة بين اثنين أو جماعة من السلف إلا لتفهم

وجه الصواب فيصار إليه، ويعرف أصل القول وعلته فيجري عليه أمثلته ونظائره، وعلى هذا الناس في كل بلد، إلا عندنا كما شاء الله ربنا وعند من سلك سبيلنا من أهل المغرب، فإنهم لا يقيمون علة ولا يعرفون للقول وجها، وحسب أحدهم أن يقول: فيها رواية لفلان ورواية لفلان، ومن خالفهم عندهم الرواية التي لا يقف على معناها وأصلها وصحة وجهها فكانه قد خالف نص الكتاب وثابت السنة، ويجيزون حمل الروايات المتضادة في الحلال والحرام، وذلك خلاف أصل مالك، وكم وكم لهم من خلاف أصول مذهبهم صار أحدهم إذا لقي مخالفًا من يقول بقول أبي حنيفة أو الشافعى أو داود بن على أو غيرهم من الفقهاء، وخالفه في أصل قوله بقى متثيراً، ولم يكن عنده أكثر من حكاية قول صاحبه، فقال: هكذا قال فلان وهكذا رويانا، ولجأ إلى أن يذكر فضل مالك ومنزلته، فإن عارضه الآخر بذكر فضل إمامه أيضا صار في المثل كما قال الأول:

ق فعابوا علينا شحوم البقر	شكونا إليهم خراب العرا
أريها السها وترىيني القمر	فكانوا كما قيل فيما مضى

وفي مثل ذلك يقول منذر بن سعيد رحمه الله:

طلبت دليلا هكذا قال مالك	عذيرى من قوم يقولون كلما
وقد كان لا تخفى عليه المسالك	فإن عدت قالوا هكذا قال أشهد
ومن لم يقل ما قاله فهو أفك	فإن ردت قالوا قال سحنون مثله
وقالوا جميعا أنت قرن مما حك	فإن قلت قل الله ضجوا وأكثروا
أنت مالكا في ترك ذاك المسالك	وإن قلت قد قال الرسول فقولهم

واعلم يا أخي ! أن السنة والقرآن هما أصل الرأى والعيار عليه،

وليس الرأى بالعيار على السنة، بل السنة عيار عليه، ومن جهل الأصل لم يصل الفرع أبداً.

فعليك يا أخي ! بحفظ الأصول والعنایة بها، واعلم أن من عنى بحفظ السنن والأحكام المنصوصة في القرآن، ونظر في أقاويل الفقهاء، فجعله عونا له على اجتهاده، ومفتاحا للطرائق النظر، وتفسيراً لجمل السنن المحتملة للمعاني، ولم يقل أحداً منهم تقليد السنن التي يجب الانقياد إليها على كل حال دون نظر، ولم يرخ نفسه مما أخذ العلماء به أنفسهم من حفظ السنن وتدبرها، واقتدى بهم في البحث والتفهم والنظر، وشكر لهم سعيهم فيما أفادوه ونبهوا عليه، وحمد لهم على صوابهم الذي هو أكثر أقوالهم، ولم يبرئهم من الذلال كما لم يبرئوا أنفسهم منه، فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح، وهو المصيب لحظه، والمعاين لرشده، والمتبوع لسنة نبيه ﷺ وهدى صحابته . ومن أطف نفسيه من النظر، وأضرب عما ذكرنا، وعارض السنن برأيه، ورام أن يردها إلى مبلغ نظره، فهو ضال مضل : ومن جهل ذلك كله أيضاً، وتقحم في الفتوى بلا علم، فهو أشد عمي وأضل سبيلاً.

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

باب

الحضر على لزوم السنة والاقتصار عليها

قال النبي ﷺ: تركت فيكم اثنتين لن تضلوا ما تمسكت بهما: كتاب الله وسنتي.^(١)

وعن عبد الله بن مسعود أنه كان يقوم يوم الخميس قائماً، فيقول: إنما هما اثنان: الهدى والكلام، فأفضل الكلام - أو أصدق الكلام - كلام الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، ألا وكل محدثة بدعة، ألا لا يتطاولن عليكم الأمر فتقسو قلوبكم، ولا يلهينكم الأمل، فإن كل ماهوأت قريب، ألا إن بعيداً ماليس أنها.

وعن عرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فو عظنا موعظة بلية، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقيل: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: عليكم بالسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشاً، فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين، عضواً عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلاله.^(٢)

قال الحافظ أبو بكر البزار: حديث عرباض بن سارية في الخلفاء الراشدين حديث ثابت صحيح.

قال المصنف رحمة الله: وهو كما قال البزار، والخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ﷺ، وهم أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ. وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: اقتدوا بالذين من بعدي

(١) أخرجه الحاكم ١٧٢ من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذى (٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح.

أبو بكر و عمر، واهتدوا بهدى عمار، وتمسّكوا بهدى ابن أم عبد.^(١)
وعن سفينة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: الخلافة بعدى ثلاثة
سنة، ثم تكون ملكاً. ثم قال: امسك، خلافة أبي بكر سنتان، وعمر عشر،
وعثمان ثنتا عشرة، وعلى ست. قال علي بن الجعد: قلت لحماد: سفينة
القاتل لسعيد؟ قال: نعم.^(٢)

قال المصنف: قال أحمد بن حنبل: حديث سفينة في الخلافة
صحيح، وإليه أذهب في الخلافة.

وقال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ و ولادة الأمر من بعده
سننا، الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين
الله، من عمل بها مهتدى، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير
سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وصلاح جهنم وساعت مصيرأ.

وقال صالح بن كيسان: اجتمعنا أنا والزهري ونحن نطلب العلم،
فقلنا: نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال: نكتب ما جاء عن
الصحابية فإنه سنة، وقلت أنا: ليس سنة ولا نكتبه، قال: فكتبه الزهري
ولم أكتبه، فأنا جحوض ضيعت.

وعن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب لما قدم المدينة قام
خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يأيها الناس! إنه قد سنت لكم
السنة، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة، إلا أن تضلوا
بالناس يميناً وشمالاً.

وعن مسروق أن عمر خطب الناس فقال: ردوا الجهات إلى السنة.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٦٦٥) / ٥٣٨٢، وصححه الحاكم ٧٩ / ٣ ووافقه النعيم، ورواه
الترمذى (٣٦٦٢) وابن ماجه (٩٧) مختصرأ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦) والترمذى (٢٢٢٦) وحسنه.

وعن ميمون بن مهران في قول الله جل وعز "فَإِنْ تَنَزَّلَ عَنْهُمْ فِي شَيْءٍ
فَرُدُوا إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ" [النساء: ٢٠٩] قال: الرد إلى الله إلى كتابه، والرد إلى
الرسول ما كان حيا، فإذا مات سنته.

قال عبد الله بن مسعود: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة.

وقال أبو الفيض ذو النون: ثلاثة من أعلام السنة: المسح على
الخفين، والمحافظة على صلوات الجمع، وحب السلف رحمهم الله.

وكان إبراهيم التيمي يقول: اللهم اعصمني بدينك وبسنة نبيك من
الاختلاف بالحق، ومن اتباع الهوى، ومن سبيل الضلال، ومن مشتبهات
الأمور، ومن الزيف والخصومات.

وقال عبد الله بن مسعود: القصد في السنة خير من الاجتهاد في
البدعة.

بَابِ

موضع السنة من الكتاب وبيانها له

قال الله تعالى نكره: **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** [الحل: ٤] وقال: **فَلَيَخُذِّرِ الظَّاهِرَ يُخَالِفُونَ عَنْ أُمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** [الشورى: ١٣] وقال: **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ** [الشورى: ٥٢-٥٣] وفرض طاعته في غير آية من كتاب الله وقرنها بطاعته جل وعز فقال: **وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.** [الحشر: ٧]

قال عبد الله بن مسعود: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فقالت: يا [أبا] عبد الرحمن! بلغنى أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ، ومن هو في كتاب الله؟ قالت: إنني لأقرأ ما بين اللوحين بما أجد، قال: إن كنت قارئة لقد وجدي، أما قرأت **وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.** [الحشر: ٧]

قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ، قالت: إنني لأظن أهلك يفعلون بعض ذلك، قال: فاذبهي فانظرى، فدخلت فلم تر شيئاً، فقال عبد الله: لو كانت كذلك لم نجامعها.^(١)

وعن عبد الرحمن بن يزيد أنه رأى محراً على ثيابه، فنهى المحرم، فقال: أتیني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي، فقرأ عليه: **وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.** [الحشر: ٧]

وكان طاووس يصلى ركعتين بعد العصر، فقال له ابن عباس:

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦) ومسلم (٥٥٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذى (٢٨٧٥)، وقال: حديث حسن وصححه الحاكم ١٩٠ على شرط الشيفيين، ووافقه الذهبي.

اتركهما، فقال: إنما نهى عنهم أن يتخذ سنة، فقال ابن عباس: قد نهى رسول الله ﷺ عن صلاة بعد صلاة العصر، فلاأدري أتعذب عليهما أم تؤجر، لأن الله تبارك وتعالى قال: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أُمْرِهِمْ** [الأحزاب: ٣٦].

عن أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ: لا ألفين أحدكم متكتئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لاأدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا. ^(١)

عن ميمون بن مهران في قوله ﷺ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** الآية [النساء: ٥٩] قال: الرد إلى الله الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله إذا كان حيا، فلما قبضه الله فالرد إلى سنته.

قال المصنف: قال ﷺ: ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه. رواه المطلب بن حنطب وغيره عنه ^(٢).

وقال الله تبارك وتعالى: **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** [النحل: ٤٠-٣٩] وقال: **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فَيُنَاهَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** [النساء: ٥٩] وقال: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أُمْرِهِمْ**... الآية [الأحزاب: ٣٦].

وعن أيوب السختياني أن رجلاً قال لمطرف بن عبد الله بن الشخير: لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له مطرف: والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا.

وقال حسان بن عطيه: كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ،

(١) أخرجه الشافعى فى جماع العلم، ٨٦ (انظر: الأم/٧/٤٧٩) والبيهقي فى السنن/٧/٧٦ وشعب الإيمان/٢/١٦٧.

ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك.

وقال الأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب.

قال المصنف: ي يريد أنها تفضي عليه، وتبين المراد منه.

قال يحيى بن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب

قاضيا على السنة.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس! كتب عليكم الحج، فقيل: يا رسول الله! أفي كل عام؟ قال: لا، ولو قلتها لوجبت، الحج مرة واحدة، فما زاد فهو تطوع.^(١)

قال المصنف: الآثار في بيانه لمجملات التنزيل قوله وعملا أكثر من أن تحصى، وفيما لوحنا به هداية وكفاية، والحمد لله.

وكان أبو إسحاق إبراهيم بن سيار يقول: بلغني وأنا أحدث أن نبي الله ﷺ نهى عن اختناث فم القربة والشرب منه.^(٢) قال: فكنت أقول: إن لهذا الحديث لشأننا، وما في الشرب من فم القربة حتى يجيئ فيها هذا النهي؟ فلما قيل لي: إن رجلا شرب من فم قربة، فوكرعه حية فمات، وإن الحياة والأفاعي تدخل في أفواه القرب علمت أن كل شئ لأنعلم تأويله من الحديث أن له مذهبا وإن جهله.

(١) أخرجه الدارمي ٤٥٦ / ٢٢١ وصححه على شرط الشعيبين، ووافقه الذهبي، ورواه

النسائي ٢٦٢٠ من حديث أبي هريرة، والترمذى ٨١٤ من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) أخرجه البخارى ٥٦٢٥ ومسلم ٥٢٧٢ من حديث أبي سعيد الخدري.

باب

فيمن تأول القرآن أو تدبره وهو جاهم بالسنة

قال المصنف رحمة الله : أهل البدع أجمع أضربوا عن السنن، وتأولوا الكتاب على غير ما بينت السنة، فضلوا وأضلوا، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله التوفيق والعصمة برحمته، وقد روى عن النبي ﷺ التحذير عن ذلك في غير مأثر.

فعن عقبة بن عامر الجهنى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هلاك أمتي في الكتاب واللبن، فقيل: يا رسول الله ! وما الكتاب واللبن؟ قال: يتعلمون القرآن، ويتألونه على غير ما أنزله الله، ويحبون اللبن، ويدعون الجماعات والجماع ويدعون^(١):

وقال ﷺ: أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن^(٢).

وعن ابن مسعود قال: ستجدون أقواماً يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبعد، وإياكم والتنطع، وعليكم بالعتيق.

وقال عمر: إنما أخاف عليكم رجلىن: رجل يتأنى القرآن على غير تأويله، ورجل ينافس أخيه على الملك.

وعن رجاء بن حبيبة عن رجل قال: كنا جلوساً عند معاوية فقال: إن أغري الضلال لرجل يقرأ القرآن فلا يفقه فيه، فيعلمه الصبي والعبد والمرأة والأمة، فيجادلون به أهل العلم.

قال ميمون بن مهران: إن هذا القرآن قد أخلق في صدور كثير من

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٣٥٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٤٣) من حديث عمر بن الخطاب، قال الهيثمي ٤٥: ٤٥؛ رجاله موثقون.

الناس، فالتمسوا ما سواه من الأحاديث، وإن من يبتغى هذا العلم يتذبذب
بضاعة ليلتمس به الدنيا، ومنهم من يتعلم ليماري به، ومنهم من يتعلم
ليشار إليه، وخيرهم الذي يتعلم فيطيع الله فيه.

قال المصنف: معنى قوله "إن هذا القرآن قد أخلق" - والله أعلم - أى
أخلق علم تأويله من تلاوته إلا بالأحاديث عن السلف العاملين به، ففى
الأحاديث الصحاح عنهم يوقف على ذلك، لا بما سولته النفوس وتنازعته
الآراء، كما صنع أهل الأهواء.

قال الحسن: عمل قليل فى سنة خير من كثير فى بدعة.
وقال عمر بن الخطاب: ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه
إيمانه، ولا من فاسق بين فسقه، ولكنني أخاف عليها رجلا قد قرأ القرآن،
حتى أزلقه بلسانه، ثم تأوله على غير تأويله.

باب

فضل السنة ومبادرتها لسائر أقوال علماء الأمة

عن الضحاك في قوله تعالى: **لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَذَّاباً
بَغْضَكُمْ بَغْضاً** [التر: ٦٣] قال: أمرهم أن يطيعوه ويشرفوه ويدعوه باسم النبوة. وقال ابن جريج عن مجاهد: أمرهم أن يدعوه في لين وتواضع. وعن أبي سلمة قال: لما نزلت **لَا تُقْدِمُوا يَوْنَى يَوْمَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ** [الحجرات: ١] قال أبو بكر: والذى بعثك بالحق، لا أكلمك بعد هذا إلا كأخي السرار.

وسائل عبد الله بن عمر عن الصلاة في السفر، فقال: ركعتان، من خالفة السنة كفر.

وعن بلال بن عبد الله أن أباه عبد الله بن عمر قال يوماً: قال رسول الله ﷺ: لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد، فقلت أنا: أما أنا فسأمنع أهلى، فمن شاء فليسرح أهله، فالتفت إلىي، وقال: لعنك الله، لعنك الله، لعنك الله، تسمعني أقول: إن رسول الله ﷺ أمر أن لا يمنعن، وقام مغضباً.^(١)

وقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية، أحدثه عن رسول الله ﷺ، ويخبرني برأيه، لا أسألكنك بأرض أنت بها.

قال عمر: إذا رميتم الجمرة سبع حصيات وذبحتم وحلقتم، فقد حل لكم كل شيء إلا الطيب والنساء، قال سالم: وقالت عائشة: أنا طيبة رسول الله ﷺ لحله قبل أن يطوف بالبيت، قال سالم: فسنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يخطب مسنداً ظهره إلى

(١) أخرجه البخاري (٩٠٠) ومسلم (٩٩٥) - واللفظ له - من حديث ابن عمر.

خشبة، فلما كثُر الناس قال: ابنيوا على منبراً، قال: فبنوا له منيراً، والله ما كان إلا عتبتين، فلما تحول رسول الله ﷺ من الخشبة إلى المنبر حنَّت الخشبة، قال أنس: سمعت والله الخشبة تحن حنين الواله، قال: فما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ، فاحتضنها.^(١) فقال الحسن: يا عباد الله! الخشب يحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه، أفلِيس الرجال الذين يرجون لقاء الله أحق أن يشتاقوا إليه.

وقال وهب بن منبه: قرأت في سبعين كتاباً أن جميع ما أعطى الناس من بده الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل محمد خاتم النبيين ﷺ كحبة رمل وقعت من جميع رمل الدنيا. وأجدده مكتوباً: أرجوهم عقلاً وأنصلهم رأياً. قالوا: ولم يبعث الله نبياً حتى يستكمل من العقل ما يكون أفضل من عقل جميع أمته، وعسى أن يكون في أمته من هو أشد منه اجتهاداً بيده وجوارحه، ولما يضر النبى ﷺ في عقله ونيته وفكرة أفضل من عبادة جميع المجتهدين.

وعن أبي سعيد الخدري قال: لما قبض رسول الله ﷺ أنكرنا أنفسنا، وكيف لا ننكر أنفسنا والله سبحانه يقول: "وَاغْلُقُوا أَنْ فِيکُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْيَطِيعُکُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ" [الحرات: ٧].
عن الربيع بن خيثم قال: كنا نقول: نعم المرء محمد ﷺ، كان ضالاً فهداه الله، وعائلاً فأغناه الله، شرح الله صدره، ويسر الله له أمره، ثم يقول حرف، وما حرف؟ "مَنْ يُطِيعُ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ" [النساء: ٨٠] فوض الله إليه، فإنه لا يأمر إلا بخير صلى الله عليه وسلم.

(١) قصة حنين الحذع أخرجهها البخاري (٣٥٨٤ - ٣٥٨٣) وغيره.

باب

ذكر بعض من كان لا يحدث عن رسول الله ﷺ

إلا وهو على وضوءٍ

قال ضرار بن مرة: كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول الله ﷺ

وهم على غير وضوء.

قال إسحاق: فرأيت الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير

وضوءٍ تيم.

وقال قتادة: لقد كان يستحب أن لا يقرأ الأحاديث التي عن رسول

الله ﷺ إلا على ظهور.

قال شعبة: كان قتادة لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا وهو على طهارة.

وقال مالك بنأنس: كان جعفر بن محمد لا يحدث عن رسول

الله ﷺ إلا وهو على ظاهر.

وقال أبو مصعب: كان مالك بنأنس لا يحدث بحديث رسول

الله ﷺ إلا وهو على وضوءٍ إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ.

قال عبد الرحمن بن أبي الزناد: ذكر سعيد بن المسيب حديثاً عن

رسول الله ﷺ وهو مريض، فقال: أجلسوني، فإني كرهت أن أحدث حديث

رسول الله ﷺ وأنا مضطجع.

باب

فِي إِنْكَارِ أَهْلِ الْعِلْمِ مَا يَجْدُونَهُ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبَدْعِ

عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: ما أعرف شيئاً
ما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلة.

وقال الزهرى: دخلنا على أنس بن مالك بدمشق وهو وحده وهو
يبكي، قلت: ما يبكيك؟ قال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلة
وقد ضيعت.

وقال الحسن البصري: لو خرج عليكم أصحاب رسول الله ﷺ
ما عرفوا منكم إلا قبلتكم.

وعن عثمان بن الوليد قال: قال لى عروة بن الزبير: ألم أخبر أن
الناس يضربون إذا صلوا على الجنائز في المسجد؟ قلت: نعم، قال: فو الله
ما صلي على أبي بكر الصديق إلا في المسجد.

وقال مالك: قدم علينا ابن شهاب قدمه يعني من الشام، فقلت له:
طلبت العلم، حتى إذا كنت وعاء من أوعيته تركت المدينة ونزلت إداماً؟
قال: كنت أسكن المدينة والناس ناس، فلما تغير الناس تركتهم.

وقال هشام بن عروة: [لما] اتّخذ عروة بن الزبير قصره بالعقيق
قال له الناس: قد جفوت عن مسجد رسول الله ﷺ، فقال: إني رأيت
مساجدكم لاهية، وأسواقكم لاغية، والفاحشة في فجاجكم عالية، وكان فيما
هذا لك عما أنت فيه عافية.

وعن ابن أبي ربيعة أنه مر بعروة بن الزبير وهو يبني قصره
بالعقيق، فقال: أردت الهرب يا أبا عبد الله؟ قال: لا، ولكن ذكر لي أنه
سيصيبها عذاب يعني المدينة، فقلت: إن أصحابها شع كنت متنحيا عنها.

قال مالك: أخبرنى رجل أنه دخل على ربيعة بن عبد الرحمن، فوجده يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه، فقال له: أوصيتك دخلت عليك؟ فقال: لا ولكن استفتي من لا علم له، وظهر فى الإسلام أمر عظيم، قال ربيعة: ولبعض من يفتى هنا أحق بالسجن من السراق.

وقال أبو الدرداء: مالى أرى علماءكم يموتون، وجهالكم لا يتعلمون، لقد خشيت أن يذهب الأول ولا يتعلم الآخر، ولو أن العالم طلب العلم لازداد علماء، ولو أن الجاهل طلب العلم لوجد العلم قائما، مالى أراكم شباءا من الطعام جياعا من العلم.

وقال أبو حازم: صار الناس فى زماننا يعيب الرجل من هو فوقه فى العلم، ليりى الناس أنه ليس به حاجة إليه، ولا يذكر من هو مثله، ويذريه على من هو دونه، فذهب العلم وهلك الناس.

باب

فضل النظر في الكتب وحمد العناية بالدقائق

قال أحمد بن عمران: كنت عند أبي أنيوب أحمد بن محمد بن شجاع وقد تخلف في منزله، فبعث غلاما من علمائه إلى أبي عبد الله بن الأعرابي صاحب الغريب يسأله المعجزة، فعاد إليه الغلام، فقال: قد سأله ذلك، فقال لي: عندي قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربى منهم أتيت. قال الغلام: وما رأيت عنده أحدا إلا أن بين يديه كتابا ينظر فيها، فينظر في هذا مرة وفي هذا مرة، ثم ما شعرنا حتى جاء، فقال له أبو أنيوب: يا أبا عبد الله! سبحان الله العظيم! تخلفت عنا وحرمتنا الأنس بك، ولقد قال لي الغلام: إنه ما رأى عندك أحداً وقلت: أنت مع قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربى منهم أتيت؟ فقال ابن الأعرابي:

ألباء مأمونون غيباً ومشهدأ وعقلاء وتأديباً ورأياً مسدداً ولا نتقى منهم لساناً ولا يداً وإن قلت أحياه فلست مفندأ	لنا جلساء ما نهل حديثهم يغدووننا من علمهم علم ما مضى بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة فإن قلت أموات فما كنت كاذباً وما يحفظ قدیماً:
--	---

تخلو به إن ملك الأصحاب وتفاد منه حكمة وصواب	نعم المؤانس والجليس كتاب لا مفشي سراً ولا متكبراً
--	--

وأنشد أحمد بن محمد بن أحمد رحمة الله :

علم هناك يزينه طلب وألذن زهوة عالم كتبه	وألد ما طلب الفتى بعد التقى ولكل طالب لذة متنزه
--	--

وقال عمرو بن العلاء: ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيته ينظر في دفتر وجليسه فارغ إلا حكمت عليه واعتقدت أنه أفضل منه عقلاً.
وكان عبد الله بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز لا يجلس الناس، ونزل المقبرة، فكان لا يكاد يرى إلا وفي يده دفتر، فسئل عن ذلك، فقال: لم أر قط أوعظ من قبر، ولا أمنع من دفتر، ولا أسلم من وحده.

وروى عن الحسن اللؤلوي -إن صح عنه- أنه قال: لقد غترت لي أربعون عاماً ما قمت ولا نمت إلا والكتاب على صدري.
وسئل أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري عن دواء للحفظ، فقال: إدمان النظر في الكتب.

وقال عبد الملك بن إدريس الوزير:

وأعلم بأن العلم أرفع رتبة إن السيادة تفتني بالدفتر سماه باسم الخبر حمل المخبر ما ليس يبلغ بالجياد الضمر	فاسلك سبيل المقتني له تسد والعالم المدعو حبرا إنما وبضمير الأقلام يبلغ أهلها
--	--

وقد أكثر أهل العلم والأدب في جمع ما في هذا الباب من المنظوم والمنثور، فرأيت الاقتصار من ذلك على القليل أولى من الإكثار، وبالله التوفيق.

^{٢٣} يقول عبد الصديق عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب النسوي: فرغت من تلخيص الكتاب وتهذيه وتحريجه كثير من أحاديثه وتبيينه يوم الخميس ٤٢٧ هـ الموافق ٢٠٠٦ م، والله أستدل أن يتقبل هذا العمل، وينفع به إيمان وطلبة العلم وحملته خاصة، والمسلمين أجمعين عامة، والحمد لله رب العالمين.

المحتويات

الصفحة	العنوان
١	مقدمة المصنف
٣	باب طلب العلم فريضة على كل مسلم
٣١	باب فضل التعلم في الصفر والحضر عليه
٣٤	باب ذكر الرحلة في طلب العلم
٣٦	باب الحضن على استدامة الطلب والصبر على الألواء والنصب
٤١	باب جامع في الحال التي تناول بها العلم
٤٤	باب كيفية الرتبة في أخذ العلم
٤٦	باب ما روى عن لقمان الحكيم من وصيته ابنه وحضره
٤٨	إياده على مجالسة العلماء والحرص على العلم
٥١	باب حمد السؤال والإلحاح في طلب العلم وذم ما منع
٥٣	باب أفة العلم وغائتها وإضاعته وكراهيته وضعه عند من ليس أهله
٥٤	باب في هيبة المتعلم للعالم
٥٧	باب في ابتداء العالم جلسائه بالفائدة وقوله سلونى
٥٨	وحرصه على أن يؤخذ ما عنده
٦٠	باب منازل العلم
٦٢	باب طرح العالم المسئلة على المتعلم
	باب فتوى الصغير بين يدي الكبير بإذنه
	باب جامع لنشر العلم

٦٥	باب جامع في أداب العالم والمتعلم
٦٩	فصل في الإنصاف في العلم
٧٢	فصل
٧٣	فصل
٧٥	فصل في فضل الصمت وحمده
٧٧	فصل في رفع الصوت في المسجد وغير ذلك من أداب العلم
٧٨	فصل
٧٩	فصل في مدح التواضع وذم العجب وطلب الرياسة
٨٢	فصل
٨٣	فصل
٨٥	باب ما روى في قبض العلم وذهاب العلماء
٨٩	باب حال العلم إذا كان عند الفساق والأرذال
٩٢	باب ذكر استعاذه رسول الله ﷺ من علم لا ينفع وسؤاله العلم النافع
٩٤	باب ذم العالم على مداخلة السلطان الظالم
٩٩	باب ذم الفاجر من العلماء وذم طلب العلم للملهاة وطلب الدنيا
١٠٥	باب ما جاء في مسئلة الله ﷺ العلماء يوم القيمة عما عملوا فيما علموا
١٠٧	باب جامع القول في العمل بالعلم
١١٣	باب
١١٧	باب فضل القناعة والرضا بالكافاف
١٢٢	باب الخبر عن العلم أنه يقود إلى الله ﷺ على كل حال

	باب معرفة أصول العلم وحقيقة وما ذى يقع عليه اسم الفقه والعلم مطلقا
١٢٣	باب العبارة عن حدود علم الديانات وسائر العلوم المتنقلات عند جميع أهل المقالات
١٣١	باب مختصر في مطالعة كتب أهل الكتاب والرواية عنهم
١٣٦	باب من يستحق أن يسمى فقيها حقيقة لا مجازا ومن يجوز له الفتيا عند العلماء
١٣٨	باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدرى من وجوه العلم
١٤٢	باب تدافع الفتوى وذم من سارع إليها
١٤٥	باب رتب الطلب والنصيحة في المذهب
١٤٧	باب الحض على لزوم السنة والاقتصار عليها
١٥٣	باب موضع السنة من الكتاب وبيانها
١٥٦	باب فيمن تأول القرآن أو تدبره وهو جاهل بالسنة
١٥٩	باب فضل السنة ومبادرتها لسائر أقاويل علماء الأمة
١٦١	باب ذكر بعض من كان لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا وهو على وضوء
١٦٣	باب في إنكار أهل العلم ما يجدونه من الأهواء والبدع
١٦٤	باب فضل النظر في الكتب وحمد العناية بالدافters
١٦٦	

من منش وراتنا

المهد في العهد الإسلامي
(جنة المشرق و مطلع النور المشرق)

للعلامة عبد الحفيظ الحسني رحمة الله



مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد
لإحياء المعارف الإسلامية

دار عرفات، تكية كلان، راهي بربلي، أتراك براديش (الهند)

